

٥٨٠٨
—
١

الأدراك السلام
للجنسي
وفك طلاسمه

www.christianlib.com

تأليف: أدريان تاتشر
ترجمة: بيتر ويصا



الإدراك السليم للجنس

وفك طلاسمه

أدريان تاتشر

ترجمة: بيتر ويدا

الترجمة عن

Adrian Thatcher, Making Sense of Sex 2012
Society for Promoting Christian Knowledge (SPCK)

ISBN: 978-0-281-0640609

اسم الكتاب: الإرث السليم للجنس وفن طلاسم

تصميم الغلاف: ريمون مرفس + ٠١٢٢٣٦٣٦٧٦٩

المؤلف: أدريان تانشر

نشر ودرجعة: بيتر وجصا + ٢٠١٢٢٩٩٠٣٠٧٤

بريد إلكتروني: pcter_wissa@hotmail.com

الطبعة الأولى ٢٠١٣

رقم الإيداع : ٢٠١٣/١١٦٩٦

كافة حقوق الطبع والنشر باللغة العربية محفوظة للمترجم وحده، ولا يجوز
النسخ أو الاقتباس جزئاً أو كلاً بآية وسيلة من الوسائل.

مقدمة المترجم

عزيزي القارئ إن الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب لا تعبر عن رأي الشخصي. قد توافق على بعضها وتجد البعض الآخر صادمًا لكني حاولت نقل الفكرة بأمانة وحيادية حسبما ذكرها المؤلف لأساهم في تقريب الصورة التي يعتقها بعض المسيحيين عن الجنس.

في وسط صراعات الأفكار المشوّهة لدينا، نحتاج دائمًا أن نعرف الرأي الآخر، نحتاج أن ننصت للآخر حتى وإن كان ما يقوله غير منطقي لعل عدم منطقته يساعدنا على الثبات في منطقنا، ولعل إسناداته الواهية تساعدنا على الرسوخ في أفكارنا الكتابية.

نقل الأفكار التي قد يراها البعض خاطئة ليس دائمًا بالأمر السلبي. فكيف لنا أن نعرف الصواب إن كنا لا ندرك الخطأ! وكيف لنا أن نثق بما نؤمن به دون أن نقبل الاستماع إلى الاعتراضات عليه كي نتاح لنا فرصة الإجابة على تلك الاعتراضات.

الكتاب الموضوع بين يديك يمنحك فرصة للتفكير في ما نؤمن به. قد توافق على ما جاء به أو ترفضه، فهذا إيمانك الذي أحترمه ولكن المهم أن تفكر وتتأمل.

إلى جريس تانتشر ١٩٤٣-٢٠٠٢
في ذكرى رحيلك العاشرة،
لتترقدي بسلام في الحياة الأبدية

محتويات الكتاب

١	١- الإدراك السليم لما لديك من مصادر
١	هل لديك إدراك سليم عن الجنس؟
٣	الأمور التي تعوقنا عن الفهم
٦	التفرقة الجنسية
١١	المصادر المتاحة لنا لفهم الجنس
١١	منهج اللاهوت المعاصر
٢٣	٢- الإدراك السليم للشهوة - من الكبت إلى الحرية
٢٣	مشكلة الشهوة
٢٦	ماذا أصبحت المسيحية تنظر للجنس بشكل سلبى؟
٣٠	المصراع مع "إيروس" إله الحب عند الإغريق
٣٣	نار الشهوة المحترمة
٣٦	الجنس ومحبة الذات
٣٩	متعة الجنس
	٣- الإدراك السليم للجسد - من "جسد خاطئ" إلى
٤٢	جسد المسيح
٤٢	الحب الجنسي والحب الإلهي
٤٤	عشاق على صورة الله
٤٨	تعلم عن الله من خلال الحب الجنسي
٥٠	مجالات التواصل
٥٣	عطية الجسد

٥٧

لغة الجسد كلغة للتعبير عن الحب

٤- الإدراك السليم للاختلاف الجنسي - من الاختلاف

إلى اللامبالاة ٦٠

٥٨

أجساد مختلفة؟ أجناس مختلفة؟

٦٢

هل الرجل كامل والمرأة ناقصة؟

٦٤

أجناس مختلفة أم أدوار مختلفة؟

٥- الإدراك السليم للجنسية المثلية - من الاشمئزاز

إلى القبول ٧٢

٧٣

نقاشات حول زواج المثليين

٨٥

مشكلة الجنس مرة أخرى

٨٧

وباء الثالث

٦- الإدراك السليم للزواج - من التسلط الذكوري إلى

روح المشاركة ٩١

٩٢

سبع صور للزواج

١٠٠

من يسمح له بالزواج إذا؟

١٠٢

كيف تدعم المصادر الزواج المثلي؟

٧- الإدراك السليم للروح - من الصلب إلى الوحي ١١١

١١١

صلب الجسد

١١٣

الناموس والحريّة

١١٤

الحياة بالروح

الفصل الأول

الإدراك السليم لما لديك من مصادر

في هذا الفصل سنعالج قضية إدراك المؤمن السليم للجنس. أولاً، سنتناول عدة عوائق تمنعنا عن أن نفهم الجنس وسنقوم بتلاشي تلك العوائق. ثانياً، سنتكلم عن الموارد المتاحة لدينا التي تجعلنا قادرين على فهم الجنس بشكل أفضل. ثالثاً، سنقوم بإلقاء نظرة سريعة على منهج اللاهوت المتحرر فيما يتعلق بهذا الشأن.

هل لديك إدراك سليم عن الجنس؟

إن هذا الكتاب هو جزء من سلسلة كتب تبدأ بكلمة "الإدراك السليم" ومن الكتب التي نُشرت في السابق: الإدراك السليم لمحبة الله، والإدراك السليم للكتاب المقدس، وخلافه. وكلها قضايا نستطيع أن نحاول إدراكها لكن حين يتعلق الموضوع بالجنس نكون نحن "القضية" بعينها، فنحن من نمارس الجنس، وهنا يتخذ اللغز شكلاً مختلفاً حيث نكون نحن أنفسنا جزءاً من هذا اللغز.

كل الكائنات الحية تمارس الجنس، وهي تحتاج إلى ذكر وأنثى لكي تتكاثر، لكن البشر كائنات تميل إلى التأمل واكتشاف الذات، لذلك حين نريد ممارسة الجنس فإننا ندرك ذلك بوضوح، فالبشر ينتمون إلى مجتمعات بها عادات وتقاليد تتعلق بكيفية وتوقيت ممارسة الجنس ومع من يمكن ممارسته وهذه التقاليد ترجع إلى قرون ماضية.

وهناك العديد من القيود والقواعد التي تُفرض على الممارسة الجنسية، لكن هذه القيود وموافقتنا عليها ليست ثابتة ودائمة بل هي متغيرة، ودائمًا ما تتعارض شهواتنا الداخلية معها.

إن الإدراك السليم للجنس يفترض وجود طريقة محتملة نستطيع من خلالها أن نفهم دوافعنا وغرائزنا الأساسية بشكل منطقي ولكن حتى في ذلك الافتراض معضلة، ففوة الشهوة دائمًا ما تجعلنا نشعر بالدينونة الأخلاقية. لكن السؤال الأزلي غير المحسوم هو: أيهما أقوى المنطق أم الشهوة؟ لكن يبدو أن الجنس كلمة يصعبُ تعريفها واستيعابها.

لا يمكننا أن نفصل الممارسة الجنسية عن مسائل أكثر اتساعًا تتعلق بالرجل والمرأة من حيث السلطة والسيطرة، العجز والخنوع، القابلية للجرح والنشوة، الخوف، الكوميديا والمأساة. لقد لخص "روان ويليامز" الغموض وراء الجنس من خلال طرحه السؤال التالي: لماذا نهتم بالجنس؟ يعرف معظم الناس أن العلاقة الجنسية الحميمة بطريقة أو بأخرى أمر مخيف بالنسبة لهم، فهي تأخذ الطرفين في

منطقة حيث يدرك كلاهما مدى النضوج الذي لديه، والثقافة بشكل عام، والدين بشكل خاص قد كَرَّسًا مجهودًا ضخمًا لمحاولة إدراك الجنس بشكل سليم.

هل الإدراك السليم للجنس هي محاولة محكوم عليها بالفشل من البداية؟ أوضح "ويليامز" أننا لن نستطيع أبداً أن ندرك الجنس بشكل سليم، ولكن فشلنا الحتمي في محاولة إدراكه لن يتساوى أبداً مع نقاؤنا الجنسي من حيث العلاقات الجنسية التي نريد أن نقوم بها. ومن هنا يبدأ فهمنا اللاهوتي السليم عن الجنس. ثم يستطرد "ويليامز" فيقول: "أريد أن أحاول فهم السبب وراء كون محاولتنا لفهم الجنس بشكل سليم محكوماً عليها بالفشل منذ البداية، وحين أفهم السبب سأحصل على الصورة الكاملة عن أهمية الجنس، وحينها سأفهم ذلك الارتباط بين تلك الأهمية وبين الله.

ومن هذا المنطلق فإن عدم فهمنا للجنس قد يكون هو الطريق إلى الإدراك السليم له! فخبراتنا الفاشلة والضبابية وتحسنا للطريق كلها أمور تجعلنا أكثر حكمة!

الأمور التي تعوقنا عن الفهم

إن العديد من الناس بما في ذلك عدد ليس قليلاً من المسيحيين يجدون أن التقليد والتراث المسيحي لا يساعدهم على فهم الجنس، فهم لا يتخلون عن الأخلاقيات الجنسية المثالية ليهنئون بالعيش في عالم أكثر سهولة، بل هم لا يدركون من الأساس السبب وراء تلك "المثالية". إن كنيسة الرومان الكاثوليك هي الطائفة الأكثر حزمًا وتشدداً من بين كل الطوائف، لكن الكثير من المسيحيين، بما في

ذلك الكاثوليك، لا يفهمون الجدوى وراء الإبقاء على زيجة محكوم عليها بالموت الروحي، ولا يدركون الفكرة وراء منع ملايين الناس الحاملين لفيروس الإيدز من استخدام الواقي الذكري! والعديد من المثليين المسيحيين والسَّاقِياتِ المسيحيات لا يفهمون السبب وراء التعاليم المضادة لهم! والعديد من المسيحيين أيضًا لا يرون سببًا مقنعًا وراء الامتناع عن الجنس إلى أن يتزوجوا (والزواج يكون عادة في أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينات) أو الامتناع عن ممارسة الاستمناء (العادة السرية) إن كانوا يرغبون في فعل ذلك!

يحاول المسيحيون أن يطيعوا الله، ولكن المشكلة بالطبع أننا يجب أن ندرك أولاً مشيئة الله حتى يمكننا أن نطيعها. إن الإيمان المسيحي إيمان متغير، والفهم المسيحي لشخصية الله متغير أيضًا فالعديد من المسيحيين لا يمكنهم فهم ذلك الإله الذي دائمًا ما يطلب منهم الامتناع المستمر وإمساك الذات عن الشهوات التي قد وضعها هو بذاته فيهم! فالطاعة الجوهرية تحتاج إلى أسباب جوهرية تدعمها! والتعاليم التراثية عن الجنس هي أحد الأسباب التي جعلت الناس يهجرون الكنائس في الستينيات.

الثانية Dualism

هناك ثلاثة أسباب على الأقل وراء اعتقاد الناس أن التراث المسيحي - والمتحفظ منه على وجه الخصوص - لا يساعدهم على فهم

الجنس. وتلك الأسباب هي كالتالي: **الثنائية، التفارقة الجنسية، التشاؤم.** "الثنائية" هي نظرة فلسفية تفترض أن الشيء الواحد ليس شيئاً واحداً في الحقيقة لكنه شيان. وهناك نظرة مسيحية معيارية اعتنقها أغلبية كبيرة من اللاهوتيين، وهي مكتوبة في التعليم الشفهي للكنيسة الكاثوليكية وتقول ما يلي: "إن اتحاد النفس والجسد أمر عميق للغاية لدرجة أننا يجب أن نعتبر أن النفس تتخذ هيئة الجسد، على سبيل المثال: إن الجسد المادي أصبح حياً بفعل النفس الروحانية الموجودة بداخله، وأصبح جسداً إنسانياً، فالروح والمادة داخل الإنسان ليسا طبيعتين في حالة وحدة بل اتحادهما معاً يُشكّل طبيعة واحدة!"

من الواضح أن هذا الرأي (الذي كان رأياً أساسياً منذ عهد القديس توما الأكويني" في القرن الثالث عشر) لا يتكلم عن "الثنائية" لأنه يدمج بين النفس والجسد، والروح والمادة في وحدة واحدة لكن هذه العقيدة لها اسم مختلف وهو "الكلائية" وباللغوية "holos" أي "كُلٌّ" والمشكلة أن الكثير من المسيحيين يؤمنون بالـ"كلائية" بشكل نظري لكنهم يمارسون "الثنائية" بشكل عملي.

لقد قمت بتحليل عقيدة "الثنائية" منذ ٢٠ سنة، فقامت بتصنيفها وتقسيمها إلى ستة أزواج من المضادات كما يلي:

النفس	الجسم
العلة	الشهوة
الإرادة	الرغبة
الروح	الجسد
الثقافة	الطبيعة
العامة	الخاصة

من السهل أن نرى الخراب الذي يمكن أن تسببه تلك المضادات للإنسان حين يحاول فهم نفسه. الأربعة مصطلحات الأولى الموجودة على الجانب الأيمن تمثل الجانب الروحي الأبدي المعنوي المشابه لله بداخل الإنسان، أما المصطلحات الأربعة الأولى الموجودة على الجانب الأيسر تمثل الجانب الوقتي المادي الساقط الهش لدى البشر. والمصطلحات الموجودة على الجانب الأيمن هي أكثر رفعة وسموًا من نظيراتها على الجانب الأيسر. وكل من تلك المضادات الست تتعارض مع بعضها الآخر ويكون الإنسان هو ملتقى هذه القوى المتصارعة المتضاربة، فيحيا في صراع على صعيد عالمه الصغير وفي صراع على صعيد عالمه الخارجي.

الفرقة الجنسية

لقد كان من الواضح أن الازدواجية بين النفس والجسم تعزز نوعًا آخر من الازدواجية أو الثنائية وهي ثنائية الذكر والأنثى أو "الفرقة

الجنسية" كمصطلح معاصر. في العشرين سنة الأخيرة قامت دراسات مكثفة على العلاقات بين الرجل والمرأة، وأظهر التراث المسيحي عجزه عن المساهمة في تناول شخصية المرأة بشكل كامل. العديد من المسيحيين المعاصرين ليس - كما أعتقد - لديهم إلا فكرة ضئيلة عن منظور التراث المسيحي للمرأة. إن منظور يسوع للمرأة يختلف تمامًا عن منظور اللاهوتيين الذين عاشوا في القرون التي تفصل ما بين الإنجيل وبين عصرنا الحالي. لوقت قريب كان تعريف الرجل يرتبط بالروح والمنطق والإرادة والنفس، أما المرأة كانت ترتبط بالجسد بمعناه المادي والاصطلاحي والشهوة والرغبة، وهذا يوضح لنا السبب وراء تعريف الرجل بالثقافة بينما عُرِّفَت المرأة بالطبيعة، عُرِّفَ الرجل بانفتاحه على العالم، وعُرِّفَت المرأة بعالمها الخاص، وهذا يفسر لنا أيضًا السبب في أن الرجال كان لديهم الفرصة لِيَتَلَقَّوا تعليمًا جيدًا ويشغلوا مناصب ويديروا العالم.

جسد أم اجتلام؟

تتميز المسيحية بإيمانها أن الله قد جاء وعاش بيننا كإنسان حيث يقول إنجيل يوحنا: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ يَتَنَا" (يوحنا ١: ١٤). والمصطلح المستخدم لمجيء المسيح في الجسد هو "التجسد"، ومن المعتقد أن الإيمان التجسدي ظهر لمواجهة شهوات الجسد ومع ذلك فقد ظهر مفهوم جديد لاحقًا وهو "الاجتلام"، وهذا المفهوم يرصد

بشكل جيد ما حدث في المسيحية في الخمسمئة عام الماضية. لقد تم رفض الجسدانية من أجل الإيمان أي أن رفض الجسد أصبح فكرة في مخ الإنسان. ولقد أوضح "شارلس تيلور" في كتاب مفصل وطويل كيف اجتازت المسيحية بشكلها الرسمي من خلال ما يمكننا أن نسميه "الاجتلام" وهو الانتقال من الأشكال الجسدانية في الحياة الروحية إلى الأشكال العقلانية، أي بدلاً من التركيز على الجسد يتم التركيز على العقل. وفي فقرة نبوية كتبها "شارلس تيلور" نجده يقول: "تميل أن نحيا في خيالاتنا ونؤمن بمفاهيمنا الحرة عن الجمال والخبرة والأخلاقيات ونعتقد أن الطريقة المثلى لتوجيه الذات أخلاقياً هي من خلال التفكير المنطقي والحكمة."

وبالتأكيد فإن هناك ردود أفعال لهذه النظرة التاريخية طويلة الأمد، فالممارسات الجنسية غير الشرعية التي أصبحت اتجاهاً معاصراً نموذج جيد على الرجوع إلى الجسدانية التي فيها يكون التركيز على الجسد ومتعته بشكل كبير، ولكن على الإيمان المسيحي أن يعطي لأتباعه بدلاً كي لا ينغمسوا في هذه الثقافة الفاسدة. ويجب أن يتلخص ذلك البديل في الملذات التي يعطيها الله من خلال العلاقة الحميمة والمسؤوليات العديدة التي تصحب تلك العلاقة. وهذا هو ما أحاول فعله في هذا الكتاب.

أشارت الدراسات التي قامت بها "لونا فريتاس" عن الخبرة الجنسية بين طلاب الجامعة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى ضرورة وجود تعليم لاهوتي متوازن عن الجنس يتجنب الثقافة الجنسية المفرطة من ناحية، ولكن لا يعزز ثقافة الامتناع عن الجنس من ناحية أخرى، حيث نجد أنه في الكُلِّيَّات المسيحية هناك معارضة حادة لثقافة الانفتاح الجنسي، وهذا ما تشيد به "لونا فريتاس" ولكن في الوقت ذاته فإن الطلاب الجامعيين يدفعون ثمنًا باهظًا في مقابل هذا وذلك الثمن هو وجود صراع عنيف يتعلق بالخبرة الجنسية بداخلهم.

إن احتياجات الطلاب الداخلية قد تكون حادة وملحة وغالبًا ما تكون غير واقعية، والضغطات المتعلقة بالزواج تكون مفرطة على المرأة، فغالبًا ما يتم تقرير النجاح من خلال خاتم الخطوبة وليس الشهادة، وبسبب النزعة القوية المتعلقة بثقافة الطهارة فإن العديد من الطلاب يمارسون "السرية الجنسية" أي أنهم يتظاهرون بالعفة الخارجية أمام الناس بينما يخفون مشاعرهم الحقيقية وخبراتهم الفعلية عن العلن.

وهذه الأفكار لا تقتصر على الجامعات فحسب بل هي أيضًا شائعة بداخل الكنيسة، ونحن نحاول من خلال هذا الكتاب أن نقدم طريقة وَسْطِيَّةً حتى ندرك الموارد المتاحة في اللاهوت المعاصر بهدف تعزيز الفهم الناضج للوحدة الموجودة بين ما هو روحي وما هو جنسي.

التشاور

لدى بعض المسيحيين تفاؤل عميق حول النزعات المجتمعية تجاه الحرية الجنسية بشكل أكبر، ولقد ناقشنا الانتشار المحزن لتعدد العلاقات الجنسية، والذي يمكننا أن نرى من خلاله الجنس قبل الزواج، وارتفاع معدلات الطلاق، والإجهاض، وإباحية الجنس المثلي وِعَيْش الطرفين معًا بدون زواج وخلافه، الذي هو دليل على فساد وانحلال العصر الذي نعيش فيه. كان يُنظرُ للخطايا الجنسية في الماضي على أنها دليل على ضعف الإيمان الديني، ونمو العلمانية، والابتعاد عن الإيمان المسيحي. وفي الواقع فإن الموقف يزداد تعقيدًا حين نحاول أن نقرأ التغيرات الاجتماعية بصورة مختلفة في ضوء الاعتراف بحقوق الإنسان وزيادة المطالبة بالعدالة الاجتماعية التي قد تغلبت على العنصرية والتفرقة الجنسية وتسلط الآباء في بعض المجتمعات (وكلها أمور مأخوذة من المسيحية). لم تعد هناك حاجة الآن للبقاء في زواج فاشل، أصبح الاغتصاب الزوجي جريمة، لم تعد هناك حاجة لتأسيس مستشفيات للعناية بالأطفال اللقطاء، لم يعد هناك شيء يسمى طفل غير شرعي، أصبح تحديد النسل سهلاً، أصبح زواج المثليين مباحًا قانونيًا.

في كتابه "العالم الذي قد رحناه" يحتفل "جيفري ويكس" بمكتسبات العصر الحالي فيما يتعلق بمسألة العلاقات الجنسية. ناظرًا إلى

التطورات المجتمعية منذ عام ١٩٤٥، يرى المؤلف أن هناك نهضة طويلة الأمد أتت بمنافعها على أغلبية سكان الغرب وعلى من يحيون في نطاق العالم الجنوبي حيث تغيرت حياتهم بشكل جذري وهذا ما أسماه بـ"ديموقراطية الحياة اليومية"! ويمكننا استخراج بعض المعاني من حكم "جيفري ويكس" عن الأمور، على الرغم من أن المشكلات التي تكلمنا عنها في السابق مازالت باقية. وليس من الضروري على المسيحيين أن ينظروا نظرة متشائمة للجنس (أو أي شيء آخر) بل يجب عليهم أن يكونوا واقعيين.

المصادر المتاحة لنا لفهم الجنس

في الفقرات التالية سنتكلم عن الموارد اللاهوتية وطبيعة اللاهوت المعاصر. أما إذا كنت تود عزيزي القارئ أن تقرأ مباشرة عن القضايا الجنسية والتي سنتكلم عنها بالتفصيل في بقية الكتاب يمكنك أن تتجه إلى الفصل الثاني مباشرة دون الحاجة لقراءة الفقرات التالية.

الكتاب المقدس، والتراث، والمنطق

هناك ستة مصادر أول ثلاثة منها هي الكتاب المقدس والتراث والمنطق، ومعظم المسيحيين يوافقون على هذه الموارد لكنهم لا يوافقون على الدرجة التي يتم بها تقييم كل مصدر من خلال علاقته بالمصادر الأخرى، فكل المسيحيين يؤمنون أن الكتاب المقدس هو

المصدر الأساسي لِنَعْلَم الإيمان ولكنهم يختلفون على مَا هِيئَتِهِ وعلى سلطانه داخل الكنائس. يقدم الأساقفة الإنجليكان استراتيجية قراءة ثنائية وينصحون بها عند قراءة الكتاب المقدس للحصول على معلومات عن الأخلاقيات الجنسية، فهم يوصون بقراءته كشاهد على نعمة الله التي من خلالها تم تقديم الخلاص لنا مُتَمِّمًا وعود العهد الإلهي، ويوصون بقراءته كمرشد لنا في طريق التلمذة المسيحية، ومن حيث موضوع الجنس فهذا يعني أن علينا قراءة الكتاب المقدس بطريقة تجعلنا نكتشف كيف أن مشيئة الله للسلوك الجنسي البشري تعبر لنا عن نعمته.

المشكلة التي لم يناقشها الأساقفة هي عدم التوافق الواضح بين قراءة الكتاب المقدس كشاهد على أعمال الله في شخص يسوع المسيح وبين قراءته على أنه كتاب إرشادي. المشكلة الرئيسية هي الحيرة التي نشعر بها حين ننظر للكتاب المقدس، فننتعجب هل هو شاهد للإعلان أم أن هو الإعلان بذاته (فمثلاً يختلف الأمر بشكل شائع حين تكون شاهدًا في جريمة ما، وتكون أنت المجرم ذاك مع الفارق في التشبيه). وهذه هي المشكلة مع المسيحيين المعاصرين، فهم على الأرجح لا يقولون إن الإنجيل هو كلمة الله، ليس لأنهم يعتقدون أن الإنجيل شيء غير هام بل لأن الإنجيل يعترف بيسوع، الذي هو كلمة الله الظاهرة في الجسد.

حين يتحول الكتاب المقدس إلى دليل إرشادي عن السلوك الجنسي للبحث بداخله عن الممنوع والمسموح فإن الكتاب في حد ذاته يصبح تجربة يصعب مقاومتها.

تتظر الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية إلى التراث أو التقليد والكتاب المقدس بشكل متساوٍ فهم يعتقدون أن إعلانات الله جاءت من خلال الكتاب المقدس والتراث المقدس على حد سواء، فالكتاب المقدس هو كلام الله المكتوب بحروف نفهمها والموحي به من الروح القدس، أما التراث فإنه يُنقلُ بشكل كُلِّي كلمة الله التي أُوتِمتَ عليها الرسل من خلال يسوع المسيح والروح القدس، ولذلك تحصل تلك الكنائس على يَقِينِيَّتَها من المصدرَيْنِ ويعطونهما نفس التقدير ودرجة القداسة.

وهناك عدة مشاكل تنشأ من هذه الأفكار، فلو افترضنا أن التراث هو مجموعة من التعاليم الضخمة عن ممارسات التي لا يوجد مفر منها، فهل كانت إذاً المحاكم الكنسية، وإحراق الهرطوقيين جزءاً أصيلاً من كلمة الله؟ نحتاج أن نجد طريقة لنميز بين الأمور الصحيحة التي ينقلها التراث عن كلمة الله والأمور الخاطئة. بينما لا يعطي البروتستانت التراث أهمية كبرى، ولكن في إهمالهم للتراث خطراً عليهم، فمن خلال التراث تواصلت الأجيال المسيحية المتعاقبة مع أحداث الإيمان المتعلقة بالماضي. إن المسيحيين الأوائل هم من صنعوا التراث، ويمكننا أن نتعلم الكثير من حكمتهم ومن أخطائهم

أيضًا وما زال التراث يُصنَّع فنحن من نصنعه الآن بأيدينا لمن هم في المستقبل كما فعل من هم قبلنا. يجب أن نمتحن الأمور التراثية والتاريخية في ضوء الكتاب المقدس وفي ضوء الاتهامات الأخلاقية للمجتمع المعاصر ويجب أن نتذكر أنه حتى أعظم التقاليد المهيبة قد تكون خاطئة أو لا تتناسب مع عصرنا الحالي.

يجب أيضًا أن نهتم بالعلة والمنطق فما نستطيع أن نكتشفه عن أنفسنا وعالمنا من خلال طرح الأسئلة ومن خلال الافتراضات المتنامية والقيام بتجارب يساعدنا أيضًا على اكتشاف الله وطرق تعامله مع العالم، وهناك أمور يكشفها لنا الله حيث نكون نحن غير قادرين على اكتشافها بأنفسنا ويجب أن ندرك أن المسيحيين الذين يركزون على أهمية العلة والمنطق لا يريدون أن يتخلوا عن اقتناعهم بأن الله أعلن ذاته من خلال الكتاب المقدس والتقاليد وفي شخص يسوع المسيح، فهم لا يجدون معارضة جليَّة بين العلة والإعلان، بين التساؤل البشري والإجابة الإلهية، بين العلوم واللاهوت. يعطي المسيحيون المعاصرون أهمية كبيرة للمنطق والتراث لأنهم يجدون الكنائس البروتستانتية قد بالغت في تركيزها على الكتاب المقدس وقراءاته الأدبية غافلة عما تركه الله لنا لكي نكتشفه بطرق أخرى.

الخبرة، والضمير، والحكمة

المصدر الرابع هو الخبرة. وهناك جدالات غير حاسمة عما إذا كانت الخبرة هي مصدر منفصل أما أنها تندرج تحت بند "العلة والمنطق"، لكنني أعتبر الخبرة مصدرًا منفصلاً، وبالأخص حين نحاول أن نفهم الجنس، فقد تكون الخبرة الجنسية هي أكثر الخبرات تأثيراً على شخصياتنا وتكويناً لها، والكتاب الذين يحاولون تصنيف الخبرة تحت بند "العلة والمنطق" قد تكون هناك فكرة مسيطرة عليهم وهي أن صورة الله داخل الجنس البشري يتم التعبير عنها بشكل أفضل من خلال الكلام المنطقي. وعلى الرغم من عدم إنكاري أن "العلة والسبب" عطية من عند الله إلا أنني لا أؤكد السبب على العاطفة، فالله كائن عاطفي أيضاً.

المصدر الخامس هو الضمير. يتفق الفكر العلماني مع الديني في هذا الصدد، فيرى الاثنان أن الضمير يساعدنا على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، وهو ما يقودنا للشعور إما بالاستقامة أو بالتأنيب. وكلمة ضمير في أصلها اللاتيني تعني حرفياً "المعرفة المسبقة" وهذا ما يتناقض مع فكرة أن الضمير هو الصوت الداخلي أو جرس الإنذار الأخلاقي الذي يقرع بشكل غير مفاجئ، بل هو في الواقع القدرة على الحصول على معرفة أخلاقية بالتعاون مع أناس آخرين، وبالأخص الناس الذين يتأثرون بأفعالنا. يساعدنا الضمير

على تحويل الندم إلى رضا ويجعلنا قادرين على عدم تكرار أخطاء الماضي ونقائصه.

وأخيرًا، الحكمة وهي مصدر لللاهوت والأخلاقيات. قال اللاهوتي "رينشارد هوكر" عن حكمة الله: "طرقها متنوعة لذلك طريقتها في التعليم متنوعة أيضًا، فأحيانًا تفتح أذهاننا على أمور جديدة من خلال الكتاب المقدس، وأحيانًا من خلال أعمال الطبيعة المجيدة، وأحيانًا أخرى تستلهم تلك الأمور من التأثير الروحي، وأحيانًا نقودنا وتدرينا على أمور ما من خلال الخبرات الحياتية والممارسة. لا يجب أن نعجب بها بشدة ولا يجب أن نحقرها بل يجب أن نقدرها ونعطيها احترامها."

استخدم "هوكر" البلاغة ليتكلم عن الحكمة، والحكمة تعلمنا فهذا هو دورها (أمثال ٨). إن الحكمة لله وحده لكنه منحها لنا، ولقد أوضح "هوكر" طريقة منح تلك الحكمة لنا. إن مفهوم الحكمة لا يَسَعُ الكتاب المقدس أو التراث أو المنطق، فالحكمة تستخدم الكتاب المقدس لتعليمنا ولكنها تستخدم أيضًا معرفتنا بالطبيعة من حولنا، وأحيانًا تؤثر علينا بشكل مباشر، وفي بعض الأحيان الأخرى تستخدم خبراتنا الحياتية لتجعلنا نصطدم بمصدر جديد من المعرفة الإلهية. إن الحكمة هي حجر أساس لسائر مصادر المعرفة اللاهوتية

الأخرى، لكنها تُحْتَرَمُ وَتُقَدَّرُ حين نستطيع أن نكتشفها بشكل سليم بداخلنا.

في النهاية فإن تلك المصادر الستة تمكنا من أن نحب الله ونحب الآخرين بشكل أفضل فهذه المصادر تقدم لنا "عقيدة"، ويجب أن نتخذ الأخلاقيات الجنسية المسيحية العقيدة الجوهرية التي تقول إن "الله مَحَبَّةٌ" (١ يوحنا ٤: ٨) بشكل أكثر جَدِّيَّةً، فغالبًا ما يتم تقليص المثل العليا للحياة المسيحية في مجرد الأوامر والنواهي. إن أعظم وصية أكد عليها يسوع هي "المحبة". فقال له يسوع: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعَظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلَهَا: تُحِبُّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ." (متى ٢٢: ٣٧-٤٠)

منهج اللاهوت المعاصر

أقولها بلا خجل وبكل إخلاص إن المنهج المطروح لإدراك الجنس في هذا الكتاب هو منهج ليبرالي معاصر. والكنيسة الحديثة تُعَرَّفُ نفسها على أنها منظمة تعزز اللاهوت المسيحي المعاصر. ما هو إذاً اللاهوت المعاصر؟

المفهوم الخاطئ لللاهوت المعاصر

اللاهوت المعاصر لا يؤمن بمبدأ العصمة، وليس مبدأً متحفظًا ولا هو كاثوليكي. يؤمن معتنقو مذهب "العصمة" بأن الكتاب المقدس

معصوم وكل كلمة فيه قام الروح القدس بإملائها على المؤلفين البشر. وفكرة العصمة فكرة حمقاء ولكنها خَطِرَةٌ فهي تتجاهل المشاكل الواضحة مثل مئات الأمور المتضاربة في الكتاب المقدس، ونقص في بعض المخطوطات الرئيسية التي من المفترض أنها مَوْحَى بها، وكيفية ترجمة وتفسير تلك المخطوطات بشكل يحفظ عصمتها، وخلافه.

يجب أن ندرك الفروقات بين الإنجلييين المعاصرين والمتحفظيين. يريد المعاصرون أن يصونوا ويحفظوا كل شيء مقنع قِيلَ في الكتاب المقدس والتقاليد عن المسيح وأن يتخلوا وَيَتَّصَلُوا مما هو خلاف ذلك، كما أنهم يبشرون بإنجيل يسوع المسيح بكل فرح ولكن خلافهم مع نظرائهم المتحفظين بشكل أساسي يتلخص في ماهية الكتاب المقدس وتفسيره، وبالطبع فإن هذا يؤثر على سائر الأمور الأخرى.

يقول الإنجيليون المتحفظون عن الكتاب المقدس إنه "كلمة الله" وهذا أمر غريب الأطوار لأن الكتاب المقدس يعلن بوضوح أن يسوع المسيح هو كلمة الله (يوحنا ١: ١٤) وليس الورق المقدس الموجود بين أيدينا (يوحنا ٥: ٣٩) ويتعاملون مع حرفية الكتاب المقدس بشكل مقياسي ومعياري بقدر الإمكان، وهذه الطريقة في قراءة الكتاب المقدس مستحدثة في عهد "الإصلاح" ولكن منذ ذلك الحين تمسكت بها بعض القطاعات في البروتستانتية. وهذه الافتراضات الخاطئة

جعلت الإنجليين المتحفظين ينظرون إلى الكتاب المقدس على أنه كتاب إرشادي للحياة المسيحية وبالأخص فيما يتعلق بالأخلاقيات ولكن كان هذا يَحُولُ بينهم وبين الإدراك السليم للجنس. هناك العديد من الحالات الموجودة في العهد القديم التي نجد فيها قوانين الطهر والنقاء بدائية ومثيرة للاشمئزاز ومهينة ولكن إن قُرَأَ الكتاب المقدس حرفياً، فَسَيُشَكَّلُ معضلة كبرى لأولئك المسيحيين الذين يَسْعَوْنَ لِتَلَقِّي الإرشاد من تلك الآيات. وهناك في تلك الآيات افتراءات صعبة موجهة ضد المرأة: على سبيل المثال، إدانة المرأة بالغضب الإلهي بإتقالها بأوجاع مبرحة بسبب عصيان المرأة الأولى "حواء": "تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَثْقَابَ حَمَلِكِ، بِأَلْوَجَعٍ تَلِدِينَ أَوْلَادًا." ويجب أن تخضع لزوجها، فالخضوع والإنجاب هما طريقها للخلاص (١ تيموثاوس ٢: ١٥).

يَصْنَعُ على الإنجليين معالجة هذه الفقرات الكتابية وفقرات أخرى عديدة، وقد شَبَّهُ دَعْرًا شَدِيدًا بينهم، فهم يسعون إلى حياة مقدسة تتوافق مع مشيئة الله القدوس، ولكن الكتاب المقدس لا يوفر لهم ما يبحثون عنه فأمور مثل "قيادة الرجل" أو "خدمة المرأة" تسبب انقسامات مريرة بينهم، وفي الغالب إما يَتَجَاهَلُونَ تلك النصوص الكتابية أو يحاولون تفسيرها بطريقة تتوافق مع الأفكار المعاصرة عن المساواة بين الجنسين، والمشكلة لا تنتهي هنا فهم يَقُولُونَ الكتاب المقدس ما لم يَقُلْهُ. فمثلاً قصة "أونان" الذي "أَفْسَدَ عَلَى الْأَرْضِ"

(تكوين ٩:٣٨) أي قذف مَنِيَّةُ على الأرض، استخدمها البعض لإدانة الاستمناء وقد ما تزال مستخدمة، ولكن هي في الأصل كانت تتكلم عن عدم إقامة نسل من زوجة الأخ الميت.

العديد من المعاصرين كاثوليك، ولكن يواجه المعاصرون صعوبات بداخل الكنيسة الكاثوليكية لأنها متمسكة بالتقاليد بشدة، ولكن يختلف المعاصرون مع الكاثوليك في العديد من القضايا فمثلاً يعتقد المعاصرون أن "النَّبَلُ الْقُسْرِي" للكهنة أمر كَارِثِي، كما يتعارضون أيضاً مع فكرة رفضهم لمنع الحمل سواء داخل إطار الزواج أو خارجه.

المفهوم الصحيح لللاهوت المعاصر

تدرك الكنيسة المعاصرة جيداً أن كلمة "معاصر" أو "ليبرالي" قد أُسيء استخدامها، فهذه الكلمة لها ارتباطات سيئة مع الاقتصاد، فهي تعني مثلاً "حرية التجارة" ومنح الحقوق للأثرياء بالاستثمار، وبالنسبة للسياسة فهي ترتبط في بريطانيا مع حزب الأقلية الليبرالي الذي تمتد جذوره "للمعارضين الْمُعْتَرَلَةِ" الذين أعطوا أهمية قصوى لضرورة استقلال الكنيسة وحرية العقيدة، بينما في اللاهوت فهذه الكلمة تتعلق بِفِكْرِ يُعْرَفُ بِالْ"بِرُوتِسْتَانْتِيَةِ المعاصرة"، كما تأثر اللاهوت المعاصر بعدة تيارات حاولت أن تبعده عن مساره الرئيسي مثل الراديكالية

الأرثوذكسية، واللاهوت المتحرر، واللاهوت النسائي وكل هذه الأفكار لها تأثيرها على العالم والكنيسة في الوقت الحالي.

مساحة أكبر للمنطق

اللاهوت المعاصر يؤكد على كافة مصادر اللاهوت سائلة الذكر لكنه يعطي مساحة أكبر للمنطق أكثر من غيره. وكلمة منطق تضم في طياتها عدة معانٍ منها الجدل والفكر الناقد والكلمة والتساؤل وخلافه. الكلمة اليونانية التي تعني منطق هي "لوجوس" أي كلمة. إن التمسك بالمنطق هو الإصرار على أن قوة التفكير البشري هي جزء لا يتجزأ من الخطوة التي نتخذها تجاه محبتنا لله. يؤمن المعاصرون بأن قوة العقل البشري تجعلنا نصل لحقائق جديدة، فهم يؤمنون بأن قوة العقل هي عطية إلهية يمكن الوثوق بها، ودائمًا ما كان المعاصرون مُرحِّبين بالمعرفة العلمية، مثل معرفة الأصول، مثل أصل الكون أو أصل الجنس البشري أو أصل الكتب المقدسة نفسها. إن المنطق لا يحل محل الكتاب المقدس، لكننا بحاجة إليه لتفسير الكتاب المقدس وإظهار العلاقة بين الممارسة والإيمان المُعاصرين. اللاهوت المعاصر هو أحد تيارات اللاهوت المسيحي التي تُحترِّم وتستخدم الإنجازات البشرية كمصدر للتأمل عن الله، وهناك العديد من اللاهوتيين العظام قد فعلوا هذا، فمثلاً قام أروغسطين (٣٥٤ -

(٤٣٠) بالاقْتباس من "أفلاطون" ومن أعمال "الأفلاطونيين الجدد" وتوما الأكويني" (١٢٢٥-٧٤) تأثر كثيرًا بأرسطو وبالعلوم الطبيعية في ذلك الوقت، وكل العلوم الإنسانية التي لم تتدرج تحت بند اللاهوت كان يعتبرها الناس نوعًا من الفلسفة ومنها ما يتعلق بعلم التجربة والطبيعة والأخلاقيات وخلافه. ولقد أسهم المنطق في معرفتنا الجنسية إسهامًا ضخماً، فالجنس الآن يُدرّسُ بشكل أكاديمي متنوع في العديد من المجالات منها النفسي والاجتماعي والإنساني والفلسفي والعضوي، والنتائج التي تخرج بها تلك الدراسات تكون مؤقتة ويتم التنازع عليها بشكل عام، لكنها تساعدنا كثيرًا على فهم الحالة الجنسية البشرية.

الفصل الثاني

الإدراك السليم للشهوة

من الكبت إلى الحرية

في هذا الفصل سنتناول قضية الشهوات الجنسية التي تواجه رجال الإيمان وبعض التحذيرات بشأن الشهوة والتعبير عنها من منظور الكتاب المقدس والتقاليد، كما نقدم تفسيراً عن السبب وراء المفهوم المسيحي الذي أصبح ينظر إلى الجنس بسلبية، بالإضافة إلى ذلك سنسرد بعض العواقب التاريخية للتعاليم السلبية عن الجنس، ثم بعد ذلك سنقدم مفهوماً إيجابياً عن الشهوة والخبرة الجنسية مُستنداً إلى المصادر المذكورة في الفصل الأول، مع إلقاء نظرة على بعض النصوص الكتابية المختلفة التي تقدم لنا منظوراً إيجابياً مختلفاً عن الشهوة. وفي الفصل الثالث سنقوم بدراسة الشهوة والجسد بحسب العقيدة المسيحية وهذا سيساعدنا على تحديد إطار مقنع لحياتنا الجنسية.

مشكلة الشهوة

نجد إدانة كبيرة للشهوة في العهد الجديد فهناك ٣٠ آية عن العهر والفسوق، كما نجد بعض الآيات التي تحثنا على عدم الزواج نفسه في بعض النصوص (لوقا ٢٠: ٣٤-٣٦، ١ كورنثوس ٧: ٨-٩، ٢٥-٣٨). ومازال الجدل مستمراً حول ما إذا كانت إدانة بولس تشتمل الشهوات الجنسية بكافة أنواعها، حتى داخل إطار الزواج، أم أن إدانته

اقتصرت فحسب على الشهوة الخاطئة، وفي وجهة النظر السابقة لا يكون الزواج وسيلة لإشباع الشهوة بل هو طريقة لإنهاؤها، نعم! فالجنس داخل الزواج يجب أن يكون بلا اشتهاؤ أو شهوة بل يجب أن يكون قريباً من النبؤليّة بقدر الإمكان مادام من الصعب الوصول إلى النبؤليّة، أما الرأي الأكثر وَسْطِيَّةً يقول إن بولس - مثله مثل اليهود واليونانيين والرومانيين في وقته - لم يُدِنِ الشهوة أو الرغبة الجنسية بل أَدَانَ الفُحْشَ الجنسي والعهر بمختلف أشكاله وأدان الشهوة المفرطة الجامحة التي يُسَاءُ تَوَجِّهُهَا.

لقد بدا أن بولس ينظر بشكل مباشر إلى الخطية كقوة خارجية تتحكم في الكيان البشري من خلال سُكُنَاها للجسد طَالِبَةً منه الإذعان والخضوع لشهوات شريرة (رومية ٦: ١٢)، ولكن المؤمنين قد أصبحوا الآن "عبيداً للبر" (رومية ٦: ١٨)، وبذلك فيبدو أن الروح وشهوات الجسد يصارع كل منهما الآخر مُتَحَدِّثِينَ المؤمنين كأرض لمعركتهما (غلاطية ٥: ١٦-٢١). وهناك تحذيرات تؤيد هذه الفكرة نجدها في رسائل العهد الجديد مثل أفسس ٣: ٥، وكولوسي ٣: ٥، و١ بطرس ٤: ٣-٤، و١ يوحنا ٢: ١٥-١٦. بينما نجد أن كاتب رسالة بطرس الثانية ويهوذا استخدموا كلمة "الشهوة" كأداة تشبيه قوية ضد معارضيتهم في العقائد (٢ بطرس ٢: ١٨-١٩؛ يهوذا ١٦، ١٨) وهذه طريقة وصف قاسية وتشير إلى وجود اتجاه سلبي ناحية الجسد والجنس.

يجب على القراء المعاصرين أن يضعوا هذا في حساباتهم، فيجب عليهم أن ينظروا إلى التصادم الموجود بين الروح والجسد، والطهارة والنجاسة، والخطية والبر، إلخ. وكلها أمور غير واضحة بشكل كامل في الحياة الواقعية. إن المشكلة التي تتضح لنا حين نقرأ العهد الجديد هي أن علماء الكتاب المقدس لم يتفقوا على أي شيء تقريباً! هل أدام بولس كل أنواع الشهوات الجنسية وقال إنه من الواجب استئصالها؟ أم أن "ويليام لودر" كان صائباً حين قال إن الجنس جزء من خليفة الله وجزء طبيعي من الحياة ويجب الاستمتاع به في الوقت الصحيح والمكان الصحيح؟ مع ذلك فإنه من الواضح أنه باقتراب القرن الأول تزايد خوف الكنيسة من الشهوة الجنسية وأصبح يعيبُ كافة أنواع السلوك الجنسي وينقدها نقداً لاذعاً بما في ذلك فكرة الاستمتاع بالجنس داخل إطار الزواج! ومن الواضح أن التحذيرات الكتابية القوية كانت تدافع على البُتُولِيَّة أي البقاء بلا زواج (متى ١٩: ١١-١٢، لوقا ٢٠: ٣٤-٣٦)، وازدواجية بولس فيما يتعلق بموضوع الزواج، وإعادة التأكيد على القوالب النمطية القديمة للعلاقة بين الرجل والمرأة، جميعها أمور قد أدت إلى وجود علاقة شائكة جدليَّة بين الكنيسة والجنس مازالت مستمرة حتى يومنا الحالي. في عهد "أوغسطين" (٣٥٤-٤٣٠)، كان يتم الحطُّ من قَدْرِ شخص يُدعى "جوفينيان" وإدانته لأنه استمر في التمسك بالمفهوم التاريخي الذي ينظر إلى الزواج والبتولية بشكل متساوٍ. وفي كتابه *On the Goods of Marriage* حاول "أوغسطين" أن يمزج

بين "جبروم" (٣٤٧-٤٢٠) الذي كان رافضاً لقبول بولس المتردد لفكرة الزواج وبين "جوفينيان" الذي كان واحداً من بين أقلاء يدافعون عن وجهة النظر التقليدية. ولكن "أوغسطين" كان ينظر إلى الجنس على أنه شيء خاطئ بطول الوقت وهذا كان له عظيم الأثر والسيطرة على الفكر الغربي لآلاف السنوات، ومازال تأثير "أوغسطين" على الفكر المسيحي تجاه الجنس تأثيراً قوياً.

لماذا أصبحت المسيحية تنظر للجنس بشكل سلبي؟

لماذا أصبحت المسيحية تنظر للجنس بشكل سلبي؟ وما هي عواقب هذا؟ وكيف لنا أن ننظر إلى ذلك الأمر الآن؟ وللإجابة على السؤال الأول سأطرح ثلاث إجابات. أولاً، إن تفضيل بولس للتبطل عن الزواج وَضَعَ الزواج في المرتبة الثانية، لذلك كان على المسيحيين الذين أرادوا أن يحيوا حياة مقدسة ترضي الله أن ينبذوا مشاعرهم الجنسية ورغباتهم. يقول "بيتر براون" إن الآية السابعة في كورنثوس الأولى قد أغفلت الإيمان الدفين الذي كان لدى اليهود والوثنيين المعاصرين آنذاك بأن الدافع الجنسي قادر على تنشئة علاقات اجتماعية حتى وإن كانت بطريقة غير سليمة! كما أنه كان تعبيراً عن الحب داخل الزواج، وهذا الإغفال ترك لنا موروثاً تشوّبه المشكلات لعصور قادمة.

ثانياً، اعتقد القادة الذكور للكنيسة الأولى أن أجساد النساء مصدر للشهوة والتجربة والفساد الجسدي والأخلاقي وكانت هناك مساندة كتابية لهذه الفكرة، فهذه الأجساد كانت تُسْتَهَي وتُسْتَهَي لذلك وجب عليهن

رداء الحشمة (١ بطرس ٣: ١-٦) ووجبت السيطرة عليهن طول الوقت. كما يتجسد لنا خوف الرجل من جسد المرأة وممارسة الجنس معها في سفر الرؤيا حين قال لنا الكتاب المقدس عن المختارين إنهم "هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَّجِسُوا مَعَ النِّسَاءِ لِأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ. هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْخُرُوفَ حَيْثُمَا يَذْهَبُ." (رؤيا ١٤: ٤) وتحمل هذه الآية كراهية صريحة للنساء.

أليس للرجل الأفضلية على المرأة لأنه خُلِقَ قبلها؟ ألم يكن آدم وحواء هما السبب وراء سقوط الجنس البشري؟ ألم يكن الرجل والمرأة هما المَخْلُوقَيْنِ على صورة الله؟ أَلَنْ تَخْلَصَ النساء من خلال الإنجاب إن استمروا في إيمانهم ومحبتهم وقداستهم (١ تيموثاوس ٢: ١٥، كورنثوس الأولى ١١: ٨-١٠)؟ هذه النصوص وغيرها تعكس لنا تعاليم يهودية تميز بين الجنسين، وغالبًا ما يضطر الواعظون اليوم أن يحاولوا تقديم تصريحات تعويضية، ويحاولون لِيَّ الآيات لتتناسب مع الحريات المجتمعية الحالية (وهذا ما يغضب الداعيات لحقوق المرأة)، ولكن من السهل أن نعرف كيف كانت تقرأ الأجيال المتعاقبة من المسيحيين تلك الآيات.

ثالثًا، كان المسيحيون في الإمبراطورية الرومانية مُحَاطِينَ بثقافة تدعو إلى كبت الشهوة، وهذه الثقافة تأثرت بفلسفة حياتية لها ثلاثة أوجه وهي تَنَاسِي الشهوة، واستخدام المنطق، والتحكم بالذات، وقد وافق اللاهوتيون المسيحيون المؤثرون على تلك الأوجه، وأقروا بأن ثقافة كبت الشهوة

تمتّع عن الشهوة والعاطفة لذلك أحبوها، ولهذا حين نقرأ رسائل بولس نشعر وكأنه يدافع عن هذه الفكرة، وعلى الرغم من أن أولوية المنطق على العاطفة في القانون الطبيعي بشكل خاص والقانون الأخلاقي بشكل عام قد أدت إلى التشدد الفلسفي، إلا أنها أيضاً أدت إلى ضمور مكانة الشهوة وذبول ما يسمى بالذكاء العاطفي في الحياة الدينية والأخلاقية. ومازلنا لا نعالج هذا العجز في الكثير من الأخلاقيات المتعلقة بالجنس ليوماً الحالي.

لكي يتم الإعلاء من المنطق في العالم بشكل عام فهذا يحتاج إلى الوصول إلى النظام السياسي والمجتمعي والأخلاقي، أما للإعلاء من المنطق بالنسبة للرجال فقد تطلب الأمر منهم السيطرة على نسايم وبيوتهم، ولكن الآن نجد المشكلة النفسية الكبرى قد ظهرت، فالآن يُسَخَّرُ من الرجل الذي لا يقدر على التحكم في بيته وأسرته، ويعتقد الناس أن الرجل يجب أن يتحكم أولاً في مشاعره وشهواته، وإن لم يستطع ذلك فلن يعتبره الناس رجلاً، ولكننا تعلمنا أن التحكم المنطقي في عواطفنا بشكل كامل أمر صعب وقد يكون مستحيلًا لبعض منا، وكلما نجحنا في هذا التحكم، كلما فقدنا الدفء العاطفي والقدرة على إقامة علاقات إيجابية مع الآخرين، ففي الواقع هناك العديد من الرجال حول العالم الذين وصلوا إلى مستويات عالية من التحكم في حياتهم على حساب إيذاء أنفسهم أخلاقياً وعاطفياً وشكّل البعض منهم خطورة على الآخرين لأن التوتر الموجود بداخلهم بين الشهوة والمنطق كان

يقسمهم من الداخل. ومن الصعب جدًا أن نفهم كيف يكون هذا هو نموذج الحياة الذي يرضى عنه الله أو يرضى عنه أي شخص بما في ذلك أولئك الرجال أنفسهم.

يجب أن نلاحظ أنه في الفوضى المؤلمة التي يعاني منها المسيحيون اليوم في كيفية تناول النصوص الكتابية سالفة الذكر، يتضح لنا أن هناك أربعة خيارات، ولكن واحدًا فقط من تلك الخيارات عملي وقابل للتنفيذ. الخيار الأول هو المبالغة في الاستهانة بتلك الآيات وتجاهلها أو التظاهر بعدم وجودها، ولكن هذا طبعًا يستحيل حدوثه لأنها آيات كتابية موحى بها من الله لذلك يجب الاعتراف بها. والثاني هو العمل بها ولكن هذا يدعم التسلط الذكوري وهو أمر غير عادل وغير مقبول، فأني رجل مؤمن هذا، يحترم ذاته، يريد زوجة خائفة؟ وما هي التأثيرات السلبية التي ستأتي على الكنيسة حين تستثني النساء من الخدمة؟ والخيار الثالث هو محاولة التصالح مع تلك النصوص من خلال محاولة فهمها بشكل أكثر عصرية (وأتكلم هنا عن آية مثل غلاطية ٣: ٢٨)، ولكن هذا يتطلب قراءة صادقة للنصوص وعدم محاولة إيجاد مبررات واهية مُنْتزَعَة من سياقها. أما الخيار الرابع هو الاعتراف بأن رسالة الإنجيل يجب فصلها عن قواعد السلوك الثقافية القديمة وهذا هو بالطبع الخيار الأمثل ولكن تَبَيَّنَ وجهة النظر تلك سيجعل مَنْ يعتنقها يظهر بصورة المعاصر، أو بمعنى أوضح الليبرالي!

الصراع مع "إيروس" إله الحب عند الإغريق

هناك عواقب وخيمة أنتت على الكنيسة والمجتمع نتيجة صراع الكنيسة مع إيروس. أولاً، تسليط الضوء على الجانب الجنسي من الشهوة يجعلنا نهمل الجوانب الأخرى للشهوة. فمثلاً الخطايا الأخرى المميتة مثل الطمع والحسد والنهم جميعها مدفوعة من الشهوة، ولكنها تكون جوانب مُهملة حين نصب تركيزنا على الشهوة الجنسية فحسب، في حين أن تلك الخطايا لها تأثير مدمر على الحياة الاقتصادية الشخصية والعالمية. ثانيًا، التعرض الصارخ لأجساد الفتيات المثيرات في الدعايا الإعلانية وزيادة السلوك الجنسي الفاسق قد يكون رد الفعل الحتمي له هو الرجوع إلى الأفكار الثقافية المجتمعية غير المقبولة التي تتحكم فيما يرتديه الناس وما يفعلونه. ثالثًا، محاولة الذكور لتغطية أجساد النساء (وهو عنصر رئيسي في بعض الديانات من حولنا) توطد فكرة الشهوة وترسخها من خلال هذا الإخفاء، فزواج الصور الإباحية الآن هو رد الفعل المباشر لذلك الإخفاء فقد أصبح ممنوع مرغوبًا بشكل أكبر.

رابعًا، يوجد في العديد من الكنائس الضخمة مشكلة كبيرة وهي مشكلة تسمى "العار الجنسي". وتعريف العار هو شعور داخلي بالانهدام الكامل والإحساس بعدم القدرة على أن تكون شخصًا سويًا. أما الشخص المصاب بالعار الجنسي فهو يعاني من مشكلة إضافية حيث أن الإحساس بالعار يتجدد لديه في كل مرة يشعر فيها بالإثارة الجنسية أو يفكر في شيء جنسي. قامت "كارين ماكلينتوك" بدراسة العار

الجنسي داخل الكنائس، وَرَعِمَتْ أَنْ الصمت العام عن الأمور الجنسية، والإدانة الْمُتَنَقَّاة لسلوكيات جنسية معينة، هو تعبير عن وجود ذلك العار الجنسي داخل تلك الكنائس. ونقول أيضاً - وبوافقها في الرأي العديد من الكُتَّاب - إن الكنائس التي يسيطر فيها الرجل قد بالغت في المناقشات الجنسية عن المرأة، وهذا هو ما يطلق عليه "الْجَنَسَةُ" أي جعل الأمور جنسية وتلك "الجنسنة" نقلت نفس المرض للثقافة العلمانية التي خرجت من تلك الكنائس. ووجدت أن صعوبات الشباب مع تلك الكنائس وتعاليمها عن الجنس كانت تتساوى مع الخجل والقواعد المسكوت عنها التي تدور حول الجنس، أكثر من تعاليمهم نفسها العلنية والتي يَصْغُبُ الاقتناع بها.

خامساً، هناك أضرار لا تُحصى قد يتعرض لها أولئك الرجال الذين يحاولون السيطرة على كل شيء وكل الأشخاص من حولهم. قال "بيتر بلاك" إن الأخلاقيات الجنسية القائمة على فكرة السيطرة تستعبد من يعتنقها حتى يصبح خائفاً سلبياً بلا عاطفة بلا قدرة على الإبداع، كما يقول أيضاً إن تلك الصفات يتصف بها الضحايا الواقعون تحت تسلط الغريزة الجنسية، و إن الضحايا الذكور لهذه الأخلاقيات الجنسية مُتَهَمُونَ بمحاولة انتزاع السعادة الجنسية من ممارسات غير سليمة.

وبالطبع فإنه ليس من الصعب اعتناق هذه الأخلاقيات المتشددة إن قِيلَ المرء إما أن يتم التحكم فيه والسيطرة عليه بدلاً من المغامرة بِتَرْك الشهوة تتفعلت، أو قِيلَ أن يقتنع بأن التحكم والسيطرة هما أقصى سعادة

يمكن تحقيقها من الشهوة، وحتى هذا النوع من السعادة يحتاج إما أن يتستر تحت عباءة دينية أو ينكر إلحاح الشهوة.

يوضح لنا "روان ويليامز" أن الشهوة تُشْبَع فقط إن تم التخلي عن فكرة السيطرة عليها وكتبها، فحين تُفَقَد السيطرة تُشْبَع الشهوة، حين يُمنَع الكبت تأتي الحرية. وعلى الرغم من صعوبة اقتناع بعض المتشددین بهذه الفكرة إلا أنها سمة ضرورية للعلاقات الجنسية المشتركة التي فيها يحدث اندماج بين كوني أَشْتَهِي وَأُسْتَهَي. يقول "روان": "حين أدخل في علاقة جنسية، لا أَعُدُّ مسؤولاً عن كينونتي!" مشيراً إلى الاختلاف بين الخبرات المشتركة وبين خبرات التحفيز الجنسي التلقائية ويقول أيضاً: "لكي يكون جسدي سبباً للمتعة يجب أن يُوهَبَ لشخص آخر، لأنني حين أَسْعِدُ الآخر بجسدي أحصل على متعة بلا حدود."

لنستوعب شهواتنا!

هذا النوع من التحكم في الأخلاقيات الجنسية لا يساعدنا اليوم، إن أردنا أن نظل مؤمنين أمناء يجب علينا أن نكون "مُشَفِّقِينَ مخلصين" عن بعض التعاليم الكتابية والتقليدية عن الجنس. ماذا نفعل إذا إن اكتشفنا أن بعض التعاليم الكتابية والكثير من التراث يُحْطُونَ من قدر نصف الجنس البشري؟ المشكلة ليست صعبة كما تبدو، حيث يمكننا أن نجد بسهولة بعض النصوص الكتابية المختلفة التي تعالج الشهوة بأسلوب مختلف، ففي الحقيقة يمكننا أن نَكُفَّ عن جَعَلِ النصوص الكتابية دليلاً

وإرشادًا لنا لتتعلم منها عن القضايا الجنسية ونتخذ منها مبادئ عامة، بل يمكننا أن نتأثر من بعض النصوص الكتابية المختلفة الأخرى التي لا تتكلم عن الجنس بشكل سلبي، في الواقع يمكننا قراءة الكتاب المقدس كله بشكل مختلف، كشاهد عن استعلان الله في المسيح وليس ككتاب إرشادي أخلاقي. يمكننا أن نفهم أن التراث أو التقليد مشروط ومؤقت ومتطور ولسنا ملزمين به، بل نحن ملزمون أن نصنع التراث المستقبلي بأنفسنا ونعيد عمله كي لا يُعاقَ تحدي إيماننا بخبرات الماضي. يمكننا أن نتوقع أن يتغير التراث والتقليد، فالكنيسة تتعلم المزيد والمزيد عن ملء المسيح عبر القرون، لذلك يمكننا إدخال مصادر أخرى في المشهد (مثلما ذكرنا في الفصل الأول). أما في بقية هذا الفصل سنصل إلى تقييم مختلف للشهوة.

نار الشهوة المُقَدَّمة

إن سفر نشيد الأنشاد عبارة عن مجموعة من القصائد الإغرائية التي تعبّر عن شهوة طَرَفَيْنِ غير مُتَرَوِّجَيْنِ تجاه بعضهما الآخر، ولم نجد في تلك القصائد أي قلق حيال الشهوة، ولا أي جهود للسيطرة عليها، ولا تفضيل للخبرة الذكورية، ولا كلمة واحدة عن إنجاب الأطفال! ومنذ أن تمت كتابة هذه القصائد، فَضَّلَ الناس أن يقرأوها بمعناها المجازي الاستعاري بغرض إبعاد تفكير الناس عن المتعة النابعة من ذلك الحب الجنسي الذي تشير إليه القصائد، وتركيز الذهن على أمور مجردة مثل

محبة الله لإسرائيل أو محبة المسيح للكنيسة في محاولة لتقليل التفاعل والاستثارة المحتملة للقارئ من هذه الأبيات الشعرية. لكن على الأقل القارئين بذلك الشكل المجازي اهتموا بالنص، أما الكُتَّابِيُّونَ المعاصرون لم يستخدموه بتاتاً! فهو لا يحتوي على إرشاد أخلاقي أو قواعد جنسية لذلك فهو لا يتوافق مع الاتجاه العام لقراءة الكتاب من وجهة نظرهم، لذلك اعتقد الكُتَّابِيُّونَ أن نشيد الأنشاد سفر محفوف بالمخاطر، ولذا نجد في بعض الترجمات محاولة لإخفاء أو تقليل حدة الكلمات التي تساعد على الإثارة الجنسية والتي تتعارض بشدة مع المنظور المعاصر للجنس وتَشْيِيء (جعله شيئاً) الجسد الإنساني في وقتنا الحالي. والأسوأ أن السفر في مجمله لا يحمل أي إشارة مباشرة إلى الله! ومع ذلك، يقول الرجل لحبيبتة: "اجْعَلْنِي كَهَاتَمٍ عَلَى قَلْبِكَ. كَهَاتَمٍ عَلَى سَاعِدِكَ. لَأَنَّ الْمَحَبَّةَ قُوَّةٌ كَالْمَوْتِ. الْغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالْهَلاوَةِ. لَهَيْبَا لَهَيْبُ نَارِ لَطَى الرَّبِّ." نشيد الأنشاد ٦:٨.

والمقطع اللفظي الأخير لكلمة "نَارِ لَطَى" في اللغة العبرية هو "yah" وهي تركيبة مختصرة من الاسم الإسرائيلي لله. إن "نار لطى الرب" تعني "نار ياه" أو "the flame of yah" إن الألوهية هي مقياس قوة الحب! نعم هناك إشارة إلى الله في نشيد الأنشاد، فالله هو موقد نار الشهوة بين العاشقين، فهو الفنان البارِع الذي خلق بكل سرور الأثداء التي كعناقيد الكرم! (نشيد الأنشاد ٨:٧).

المحبة المسبوبة

يتكلم سفر الأمثال من الإصحاح الأول إلى التاسع بشكل إيجابي عن الشهوة، وفيه نرصد محاولة إسداء نصيحة من والد لابنه، وفي الواقع هذه الإصحاحات تركز بشكل قوي على الشهوة وتركز على ما إذا كانت قوة الشهوة يتم توجيهها بشكل سليم أم خاطئ، ويتضح لنا بشكل كبير أن هناك أغراضًا خاطئة وأغراضًا صائبة للشهوة كما توضح لنا الآيات التالية: "لِيَكُنْ يَتَّبِعُكَ مُبَارَكًا، وَافْرَحْ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ. الْعَطِيشَةُ الْمَحْبُوبَةُ وَالْوَعْدَةُ الرَّهِيَّةُ. لِيَرْوِكَ تَذْيَالُهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَبِمَحَبَّتِهَا اشْكُرْ ذَاتَهَا. فَلِمَ تُفْتَنُ يَا ابْنِي بِأَجْنَبِيَّةٍ؟ وَتَحْتَضِنُ غَرِيبَةً؟" (أمثال ٥: ١٨-٢٠).

نجد هناك اعترافًا واضحًا بالشهوة، واستمتاعًا بجسد الشريك الآخر، وهذه أمور تبتعد كل البعد عن نصيحة "أوغسطين" التي قدمها للزوجين المتقدمين في العمر بمحاولة تقليل الممارسة الجنسية بقدر الإمكان. هذا الأب الحكيم كان يدرك أن السعي وراء المعرفة وبلوغها لا يتعلق باستئصال الشهوة بل رعايتها. نعم الاحتفاظ بالشهوة داخل الزواج أصبح أمرًا حتميًا، وهو أفضل الأسباب التي تجعل الطرفين على التصاق ببعضهما الآخر! في الفصل السابق تكلمنا عن الحكمة كأحد المصادر التي تساعدنا على إدراك الجنس بشكل سليم، والحكمة في سفر الأمثال دائمًا ما اقترن ذكرها بمحبة وولاء الزوجين، بينما ارتبط ذكر الحماقة بالزنى والوقوع في شرك التجربة.

الجنس ومحبّة الذات

يجب أن تتخذ الأخلاقيات الجنسية المسيحية العقيدة الجوهرية التي تقول إن الله محبة (١ يوحنا ٤: ٨، ١٦) بشكل أكثر جدية، فالشهوة هي أحد مكونات المحبة، والأخلاقيات الجنسية هي شكل متطور من محبة الآخر التي تمتد جذورها من المحبة الإلهية، فحيث الحب هناك الله ومحبة الآخرين. وهناك سمة نهملها حين نتكلم عن محبة الآخرين وهي أن تلك المحبة لها علاقة غير مباشرة بمحبتنا لذاتنا، فقد دعانا المسيح أن نحب جيراننا ليس أكثر أو أقل مما نحب أنفسنا بل كما نحب أنفسنا. إن محبة الذات أمر ضروري أيضًا، وليست شيئًا يجب أن نقاومه تحت مبدأ التضحية بالذات، فلكي يحب الإنسان الآخرين يجب أن يكون في سلام مع ذاته، ولقد قادتنا الوصايا المتزمّنة عن الجنس من محبة الذات إلى كراهية الذات، وهذه مشكلة تواجهها المرأة على وجه الخصوص والتقليد المسيحي مسؤول جزئيًا عنها.

إعادة قراءة للمصادر

في رسائل العهد الجديد نجد أن كاتبی الرسائل يتكلمون بشكل لاهوتي عن إيمانهم، وإيمان مُستقبلي رسائلهم، ويقدمون النصيحة عن كيفية العيش بطرق عملية تُميّز المجتمعات المسيحية عن المجتمعات الوثنية المحيطة بها آنذاك، وتلك الرسائل هي شهادة على "الإيمان المتطور" فهي لم تقدم لنا منتجًا مكتمل الجوانب، ولذلك يجب على الإيمان المسيحي أن يكون شهادة مختلفة من الناحية الجنسية والمجتمعية للبيئة

المحيطة بنا. الفترة التي كان بها آباء للكنيسة تتسم بوجود افتراضات تميز بين الجنسين، وبالطبع فنحن نعتقد أن تلك الافتراضات، مثل العبودية، تتناقض مع الحرية والمكانة التي أنعم بها الإنجيل على كافة البشر، رجالاً ونساء. وواحدة من تلك الافتراضات تقول إن الرجل يجب عليه أن يسود على المرأة ويسيطر عليها، وليفعل هذا وجب عليه السيطرة على نفسه أولاً، ولكن ماذا لو أننا في العلاقات الجنسية لا نستمتع بالسيطرة بل بالتخلي عن الذات؟ ماذا لو أن السعادة الجنسية هي إحدى الوسائل التي أعطانا الله إياها لنوطد محبتنا تجاه بعضنا الآخر؟ ماذا لو كانت السعادة الجنسية العظمى تكمن في إسعاد شريك الحياة وليس في انتزاع شبعنا الذاتي من خلال السيطرة؟ ماذا لو أن المحبة والفرح - وهما أول ثمريتين لثمار الروح (غلاطية ٥: ٢٢) - نعرفهما من خلال المعاشرة الجنسية، والقبُلات، والأحضان؟

أحياناً يكون إكرام التقليد والتراث من خلال تغييره، فلا يجب علينا الاستمرار في تكراره، وبالأخص حين يقودنا إلى نتائج مروعة! بل يجب علينا أن نغيره حين يتضح لنا عجزه! نحن صنَّاعُ التراث ومؤيدوه أيضاً! فالتقاليد تتغير بحسب المعرفة والخبرات التي يقدمها الله لنا.

إن استخدام المنطق سيؤدي بنا إلى نفس الاستنتاج، قد يكون المنطق جامداً ومسيطرًا، ولكن عند تطبيقه يمكننا أن نمتحن العواطف، ولأن العواطف دافئة وشخصية، فهي متقلبة وغير واقعية أيضاً. ولكن يمكن للمنطق أن يتشارك مع العاطفة، لا أن يصطدم معها، فالهدف من

المنطق ليس قمع المشاعر، بل أن اندماج الاثنين معًا يساعدنا على الوصول إلى النضج العاطفي.

نوعان من النشوة

تساعدنا الخبرة أيضًا على التعلم، ومن الواضح أن الخبرة لا تُكسب من الأمور المجردة، فالخبرة تُكسب من الأشخاص أو الأشياء، وكذلك أيضًا الخبرة المتعلقة بالشهوة لا يتم الحصول عليها من أمور مجردة، بل دائمًا ما نحصل عليها من شيء أو من خلال توجيهها لشخص، والخبرة بشكل عام لا تأتي إلينا في شكلها الخام. إليكم ما قالته "ماري بيلور" واصفةً بلوغها مرحلة الشَّبَق حين كانت تمارس الجنس مع زوجها: "أنا محظوظة فقد وصلت لأقصى مراحل المتعة، فقد شعرت بارتجاف وارتعاش في مركز الحوض يهزني كوتر على آلة الكمان، وحين شعرت بهزة الجماع من فخذي أحسست أن عظامي في سخونة الحِمَم، وأفرزت مادة دافئة لزجة أذابتني."

يبدو أنه من المستحيل ألا يكون لخبرة مكثفة مثل هذه أي بُعد ديني، أليس كذلك؟ وأنا هنا لا أحاول أن أخلط بين خبرة الشَّبَق والخبرة الإلهية، ولكنني أحاول أن أقول إن خبرة الشَّبَق هي خبرة بها نشوة وبها صُوفيّة. أود أن أقول إن مجموعة العناصر السابقة حاضرة في الوصف الجنسي الصريح وحاضرة أيضًا في خبرة الرجال والنساء الذين جربوا التقاليد الصوفية الإيمانية! فالبعدان حاضران حسبما تسترسل "ماري بيلور" وتقول: "في لحظة الشَّبَق، أشعر كأني أنصهر مع الوجود

والوجود ينصهر معي، أشعر بانسجام مع الكون من حولي، أشعر كأني
أتشقق وأنفتح وأمتزج ليس فقط مع شريك حياتي بل مع كل شيء من
حولي، وأذوب في شريك حياتي وهو يذوب فيّ."

متعة الجنس

يقول "روان ويليامز" إنه من حكمة الله أن شهوتنا لا تتزامن دائماً مع
رغبتنا في إنجاب أطفال، فقد كان المبرر وراء الجنس في الزواج هو
إنجاب أطفال (وتجنب الزنى بالطبع) ولكن لو كان هذا هو السبب
الوحيد وراء الزواج، فإذاً ليس زواج المثليين فحسب بل الزيجات
الطبيعية أيضاً لا يمكن أن نعتبرها زيجات شرعية! والمشكلة وراء هذا
المبرر هي أنه "وسيلة" حيث يتم ممارسة الجنس كوسيلة للحصول على
شيء آخر وهو الأطفال، ولكن ماذا لو كانت الشهوة لا تنتهي عند
الحصول على أطفال؟ ربما يكون الغرض من الشهوة هو إعطاء سعادة
غير وظيفية وبها لذة!

يستكمل "روان ويليامز" فيقول: "السؤال المتكرر منذ بدء الخليقة ...
بوجود النظّر أعلى مَهَبِلِ المرأة، وهو العضو المسؤول عن المتعة
الجنسية، وإن كان الخالق (الله) ينظر باتجاه وظيفي تجاه الجنس (أي
بهدف إنجاب الأطفال فقط) فإذاً هذه النصائح عن الإسهاب والتكرار
تجعلنا نتساءل هل تَصَرَّفَ الله بالمنطق؟! وهل خلقنا الله من أجل
المتعة؟"

لقد أهَّلنا الله أولاً لجنس مُمتعٍ وليس لجنس مُنتجٍ فحسب. ثانياً، الله لا يفكر بطريقة وظيفية، ولم يعطنا الأدوات التي نحصل منها على أطفال فحسب، ولم يَحْدِ قدراتنا الجنسية من أجل غرض واحد فقط مخصص لها. ثالثاً، لا نجد الله يمارس سيطرة على الجنس بنفس الكيفية التي تسلك بها الكنائس المتشددة اليوم! رابعاً، قدراتنا الجنسية الفائضة والغزيرة من شأنها أن توضح لنا مشيئة خالقنا في إسعادنا.

إن شدة الخبرة الشَّبَقِيَّةِ مسؤولة بشكل جزئي عن الشهوة الجائعة لها (التي يمكن أن نقول إنها غير ضرورية بشكل دائم للحصول على جنس مُشْبِع). واشتهاء الاتحاد مع شخص آخر هي رغبة قوية للغاية، ولهذا السبب نجد أن الإيمان المسيحي حَذَرَ جداً تجاه الشهوة، لأنها شيء متأصل بشدة في السلوك الشخصي البشري الذي هو مُدَمَّرٌ وَائْتَمٌ. ولا شك أن الشهوة الجنسية إذا أُسيءَ توجيهها أو فُقِدَت السيطرة عليها فإنها تؤدي إلى عواقب سلبية، فقد تحط من قدر البشر، ومن ضمن نتائجها السلبية هي الإتيان بملايين الأطفال غير المرغوب بهم إلى العالم، بالإضافة إلى الزنى الذي يجلب التعاسة لمرتكبه. المشكلة في الأخلاقيات الجنسية المسيحية هي أن العديد من الناس الموجودين في المجتمع خارج الكنيسة ينظرون إلينا على أننا قد أصبحنا مسلوبو الإرادة الجنسية، وصفوف الراغبين الآن في الجنس المثلي أصبحت تمثل صورة واضحة لغياب فاعلية الكنيسة وتأثيرها الكامل فيما يختار الناس أن يفعلوه في حياتهم.

يمكن للشهوة الجنسية أن تقودنا بعيدًا عن الله، قد تقودنا إلى الأنانية واستغلال الآخر، والخداع، والتقليل من شأن البشر وجعلهم مثل الأشياء ولكن - وهذه هي الحلقة المفقودة - الشهوة الجنسية أيضًا يمكنها أن تقودنا إلى الله! فهي تخرجنا خارج دائرة الذات لتتواصل مع من نحبه، وفي محاولتنا وسعينا لإقامة هذا التواصل قد نتواصل مع شخص آخر أحيانا بلا حدود إلى المنتهى، وهذا ما سنكتشفه في الفصل القادم.

الفصل الثالث

الإدراك السليم للجسد

من جسد خاطئ إلى جسد المسيح

في هذا الفصل نضع الحب الجنسي في إطار عقائدي مسيحي يساعدنا على إدراكه بشكل سليم. في الجزء الأول من الفصل نوضح الارتباط بين محبة الله وبين الحب البشري الجنسي، فهناك ارتباطات قوية بين كوننا مخلوقين على صورة الله وبين علاقتنا مع الآخرين ومع الله. وفي الجزء الثاني من الفصل، نوضح الارتباط بين جسد المسيح وبين الأجساد البشرية، وسيكون "العشاء الرباني" أحد العناصر الهامة لفهم عن الجنس وعن الحب الجنسي. إننا في هذا الفصل نوضح التضارب الموجود بين صلاح الجسد البشري المخلوق والنظرة السلبية للجسد التي مازالت موجودة في المعتقد المسيحي.

الحب الجنسي والحب الإلهي

الأفكار التي صرح بها البابا "بندكت" لاحقاً عن الحب تعتبر مدخلاً مفيداً في موضوعنا هذا، فقد اعترف بأن المسيحية هذه الأيام تتنقذ لأنها تحارب الجسد، وأقر بأنها لطالما كانت توجد ميول في المسيحية معارضة للجسد، لكنه لم يقر بأن المسيحية اليوم تدفع ثمناً باهظاً بسبب معارضتها في السابق للجسد، ولم يذكر شيئاً عن العدد الكبير الذي تخلى عن الإيمان المسيحي بسبب شعورة بالحيرة والريكة من التعاليم

المسيحية القديمة عن الجسد والجنس. ويستطرد البابا قائلاً: "وعلى الرغم من ذلك فإن الطريقة المعاصرة في تعظيم الجسد وتمجيدته هي طريقة خادعة، فقد أصبح الجنس سلعة وانحطت قيمته فأصبح مجرد شيء يُباع ويُشترى، بل الإنسان بذاته أصبح سلعة، وهذا كله جاء برضوخ الإنسان إلى ملذاته الجسدية، لكن الإنسان الآن يعتبر جسده وأعضائه الجنسية جزءاً هاماً نقياً وطاهراً من ذاته يستخدمه ويستغله بإرادته ومشينته."

إن تحليل البابا "بنديكت" يركز على ثلاثة مفاهيم يونانية للمحبة هي "أغابي، وإيروس، وفيليا". أولاً، الحب بمعنى "إيروس" ويقول عنه إنه حب بين رجل ومراة، إما غير مُحَطَّطٍ له، إما غير مرغوب فيه، ولكنه بطريقة ما يفرض نفسه على الجنس البشري، ولكنه لم يظهر في العهد الجديد من الكتاب المقدس. ثانياً الحب بمعنى "فيليا" وهو يجسد محبة الصداقة، وقد أُضيفَ له عمق جديد في إنجيل يوحنا للتعبير عن العلاقة بين يسوع وتلاميذه. ثالثاً، "أغابي" وهو في العهد الجديد يعبر عن رؤية جديدة للحب، فهو يشير إلى شيء جديد ومميز لمفهوم المؤمنين عن المحبة، وهناك ارتباط جوهري بين ذلك الحب وبين حقيقة الحب البشري. إيروس وأغابي، الحب الصاعد والحب الهابط، لا يمكن أن ينفصل كلاهما عن الآخر. فكلما استطاع الاثنان أن يتَّوَحَّدَا معاً بشكل سليم بطرق مختلفة، كلما يتم إدراك طبيعة الحب الحقيقية.

أما بالنسبة للإنسان فقط اتبع البابا "بندكت" نفس النظرة الوسطية لثوماس الأكويني" الذي قال إن الإنسان هو عبارة عن وحدة بين الجسد والروح حيث أن الجسد والروح لئسا كيانين مُفَصَّلَيْن، فكلاهما ينتمي إلى وحدانية الشخص، وهذه الوجدانية يتم الإخلال بها حين يتم التركيز على جانب على حساب الآخر. ويقول البابا: "إن الإنسان يَكُونُ نَفْسُهُ حين تحدث تلك الوحدة بين الجسد والروح." لكن مشكلة الجنس البشري هي أن "بيروس" يخلُ بتلك الوحدة! وهناك إِسْتِجَابَتَانِ مُتَنَاقِضَتَانِ للمرء تجاه ذاك الإخلال، فهو إما يطمح إلى أن يكون روحًا طاهرة وينبذ الجسد كشيء يرمز لطبيعته الحيوانية، وتكون النتيجة هي فقدان الجسد والروح لكرامتهما، إما أن ينكر الروح ويركز على الجسد كحقيقة ملموسة وحيدة. وعلى الرغم من عدم اعتراف البابا "بندكت" بأن الاستجابة الأولى هي التي تحاول الكنيسة أن تدعو إليها بشدة، إلا أنه مقتنع أن الاستجابة الثانية تقدم تشخيصًا دقيقًا عن الخبرة المعاصرة للحب الجنسي.

عُشاق على صورة الله

على الرغم من أن البابا "بندكت" لاهوتي متحفظ بدرجة كبيرة فيما يتعلق بالأمور الجنسية، إلا أنني لست على خلاف معه فيما يتعلق بشروحاته عن المحبة. ولكن في حين أننا نحاول دراسة الحب أو المحبة في العلاقات الجنسية بالتحديد، فإنني أعتقد أنه قد توجد طريقة أفضل في تبسيط العلاقة الجوهرية بين المحبة الصاعدة والمحبة

الهابطة، هذه الطريقة ستكون من خلال عقيدة الثالوث وإدراكنا أن الجنس البشري مخلوق على صورة الله. كافة المسيحيين يؤمنون بأن الجنس البشري مخلوق على صورة الله: "وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ. فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ." (تكوين ١: ٢٦-٢٧)

والسؤال الذي يطرحه على أذهاننا بالطبع هو: كيف يكون الإنسان على صورة الله؟ وما هي أوجه الألوهية التي تتعكس في البشر؟ هناك شيء فينا على صورة الله، لكن ما هو ذلك الشيء؟ لدى "سبيلي تونر" عشر إجابات على هذا السؤال، وكلها إجابات مقتبسة من المعتقد المسيحي في الماضي والحاضر، إلا أن هناك نزعة متزايدة لرفض فكرة المقارنة بين الله والبشر، ولفهم "صورة الله" بدلاً من العلاقات الحُبِّيَّة بين البشر. إن الجنس البشري هو مجتمع وليس فرداً، وهو مجتمع تناسلي. أما الله فهو مثلث الأقانيم، والثلاثة أقانيم كل منهم يتحد مع الآخر في علاقة. كيف يجسد البشر صورة الأقانيم الإلهية في علاقتهم مع بعضهم الآخر؟

يتضح لنا أن كاتب تكوين ١ أدرك هذه الوجدانية باستخدامه صيغة الجمع "تخلق"، ومن المهم لنا كمسيحيين أن ندرك أن المسيح هو صورة الله (كولوسي ١: ١٥) بدلاً من أن نخمن المعاني المحتملة لتكوين

١:٢٧! ولكن المعتقد المسيحي المتعلق بطبيعة الجنس البشري ركز بشكل كبير على هذه الآلية محاولاً فك طلاسمها.

الله محبة، الله ثلاثة أقانيم، الله واحد، أقانيمه الثلاثة متميزة ولكنها في وحدانية جامعة. والآن الإنسان مخلوق على صورة الله، أي أنه مخلوق على صورة الأقانيم الإلهية، مخلوق من أجل الوحدة والشركة، وبهذه الطريقة فإن الإنسان مخلوق على صورة الله من حيث الاتحاد.

قد أصبح هذا تعليمًا رسميًا للكنيسة الكاثوليكية، والزواج هو المثال الأعلى له. بدءًا من وثيقة مجمع الفاتيكان الثاني، التي قام البابا يوحنا بولس الثاني بالإضافة عليها، فإن الكنيسة تعلم بأن صورة الله التي نجدها في صورة الجنس البشري، يمكن أن ندركها بشكل خاص في الوحدة الموجودة بين الجنس البشري والمتمثلة في الزواج.

يقر اللاهوت الكاثوليكي اليوم بأن الزواج يمثل صورة عليا من الاتحاد بين البشر، فحين يتحد الرجل والمرأة بجسديهما وروحهما في انفتاح وتضحية، فإنهما يمثلان صورة الله.

الحب علاقة

كنت أسمى الحب "علاقة" وقد يبدو هذا شيئاً مجرداً، ولكنه مهم. إن التركيز المتجدد في الفلسفة على الشخص كشخص في إطار علاقة، في الربع الثالث من القرن العشرين، ساعد على نهوض عقيدة الثالوث الاجتماعية في الربع الأخير من القرن العشرين. وها أنا في انتظار

تحول مشابهة لمفهوم الحب، فيصبح بدلاً من ملكية تنتمي لشخص إلى مساواة في العلاقة بين أشخاص.

غالبًا ما يوصف الحب على أنه سلوك وفي ذلك السلوك فاعل ومفعول، الفاعل الذي يعبر عن الحب والمفعول الذي يستقبل ذلك الحب، ومن هذا المنطلق فقد أصبح الحب سلوكًا مسيحيًا راقيًا، وفضيلة نستوعبها فقط من خلال الله. ولكن الصعوبة التي أريد أن أتكلّم عنها والتي تتعلق بفهمنا للحب بهذه الطريقة، ليس كونها خاطئة، بل كونها أحادية الاتجاه، أي من جانب واحد، أما الجانب الآخر نادرًا ما يُذكر. المفهوم البديل للحب هو أنه علاقة، فيها تساوي بين العاشق والمعشوق، المحب والمحبوب، والحب هو العلاقة التي تجمعهما بالتساوي!

وبهذا المفهوم فإن الله ليس مجرد كائن لديه فضيلة الحب بأقصى درجاتها وعلى صورته قد خُلِقْنَا، بل الوجدانية بين الثلاثة أقانيم تقدم لنا صورة مختلفة، فالله محبة، والعلاقات مع الله تؤدي إلى شركة إلهية، وبهذا فإن علاقاتنا كبشر لها انعكاس روحي يتعلق بالله.

إن المفهوم العلائقي للمحبة ينطبق على الله وعلينا، فالله ليس شخصًا لديه سلوك ما، بل الله هو مزيج من المحبة بين الأقانيم المتحدة معًا والتميزة كل واحد عن الآخر في نفس الوقت، هكذا نحن مخلوقون على صورة الله! إن المفهوم العلائقي عن الحب يستعيد للحب صدراته، فلو كان الحب مجرد اتجاه أو فضيلة، فسيصبح مجرد شيء يمتلكه

الفرد، لكن إن كان الحب علاقة فسيصبح الحب في الصدارة ليصنع مزيجاً ووحداً بين المُحِبِّين.

تعلّم عن الله من خلال الحب الجنسي!

لقد فهمنا الله الثالث، وصورة الله، وطبيعة المحبة. ويجب أن تكون الآن الصلة الموجودة بين هذه الحقائق الروحية العميقة وبين حياة المؤمن الجنسية واضحة. فكما يقول ثود سالزمان "ومايكل لولر": "تعطي المعاشرة الجنسية للبشر نظرة أعمق للتعارف على المحبة التي يتشارك فيها الثالث، ففي المعاشرة الجنسية نجد عطية الذات غير المشروطة التي يقدمها كل من الشريكين للآخر، فهي علاقة الأخذ والعطاء وهذا الاتحاد والانصهار والقبول غير المشروط يعكس نفس الصورة الموجودة داخل الثالث، فالحب - بما في ذلك الحب الجنسي - الذي يتشاركه الطرفان، يجذبهما إلى الوحدة، وهذه الوحدة تعكس وحدانية الثالث.

بالطبع ليست كل العلاقات الجنسية لها نفس الطبيعة؛ فالجنس يمكن أن يصبح استغلالاً وسالباً للإرادة، ولكن على الرغم من ذلك فإننا ندرك الأبعاد الأخرى الموجودة وراء الجماع. لكن أليس الجماع مشروعاً فقط في سر الزواج المقدس؟ وعلى الرغم من أن الإجابة السهلة لهذا السؤال هي "نعم" إلا أن السؤال الأكثر إلحاحاً هنا هو: لماذا جُعِلَ الزواج سرّاً مقدساً من الأساس؟ والإجابة هي أن الجنس داخل إطار الزواج يعكس لنا المعاني التي تكلمنا عنها في السابق، فهو يعكس ذلك الاتحاد

المسيح، وَمِنْ ثَمَّ نجدّه يشير جدالاً حول فكرة مع من تتم ممارسة الجنس!

"أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَتَأْخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا! أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مِنَ التَّصْصِقِ يَزَانِيَةٌ هُوَ جَسَدٌ وَاحِدٌ؟ لِأَنَّهُ يَقُولُ: يَكُونُ الْاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. وَأَمَّا مِنَ التَّصْصِقِ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ. لِهَذَا هَارُوا مِنَ الزَّانَا! كُلُّ حَظِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الْإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ، لَكِنَّ الَّذِي يَزْنِي يَخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَبِئَكُمُ لِلرُّوحِ الْقُدُّوسِ الَّذِي فِيكُمْ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ لَسْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ. لِأَنَّكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَزْوَاجِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ."

(١ كورنثوس ٦: ١٥-٢٠)

من الواضح أن بولس قد أدرك وجود تشابه بين جسد المسيح وأجساد المؤمنين، تشابه من شأنه التأثير على سلوكيات المؤمنين الجنسية، فأجسادهم هي أعضاء للمسيح نفسه، وبالتالي فإن كانت أجساد المؤمنين هي جزء من جسد المسيح، فحين يقوم المؤمن بعمل ممارسة جنسية مع جسد آخر، فكأن جسد المسيح نفسه هو الذي قام بهذا الاتصال. حين كان يمارس رجال كورنثوس الجنس مع عاهرات، فقد تنجس جسد المسيح! ويجب أن ندرك أن الفهم الفسيولوجي السائد في عصر بولس فيما يتعلق بالحيوانات المنوية وعملية القذف، قد أضاف أفكاراً مرهبة للمعتقد التجديفي الذي يقول إن جسد المسيح اتصل جنسياً مع أجساد العاهرات!

ماذا يحدث في الزيجات المختلطة حين يتزوج مؤمن بغير مؤمنة أو العكس؟ هذه مشكلة لأن واحد عضو في جسد المسيح والآخر ليس كذلك، لكن لا مشكلة فيما يتعلق بالجنس، فالأثنان جسد واحد. وقد أجاب بولس على هذا السؤال وقال: "لأنَّ الرَّجُلَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ مُقَدَّسٌ فِي الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ غَيْرَ الْمُؤْمِنَةِ مُقَدَّسَةٌ فِي الرَّجُلِ. وَالْأَفْوَلاَدُكُمْ تُحْسِنُونَ، وَأَمَّا الْآنَ فَهُمْ مُقَدَّسُونَ." (١ كورنثوس ٧: ١٤). من وجهة نظر بولس إن الرجل الذي هو عضو في جسد المسيح والذي يدخل في علاقة جنسية مع امرأة لم يتزوجها وليست عضوًا في جسد المسيح فإن هذا يُعَدُّ تَحْجِيسًا للجسد الأكبر الذي هو جزء منه، لكن إن كانت هذه العلاقة الجنسية موجودة في إطار الزواج فإن الزواج يُطَهَّرُ هذه العلاقة حتى وإن لم تكن الزوجة مؤمنة.

في هذه الآيات نجد قيمة للجسد تجعلنا نفكر فيما نستعمل الجسد ومع من نتحد بالجسد. أولاً، إن كان الجسد هو هيكل للروح القدس، فهو مكان حلول الله؛ ولذلك فإن جسد المؤمن المدفوع فيه ثمن بالدم لا يمكن أن يتحد مع أجساد العاهرات المدفوع فيها ثمن بالمال. ثانيًا، إن كان موقع جسد المؤمن موجودًا داخل مجال التواصل الذي هو جسد المسيح، وإن كان يمثلته وينقاد بواسطته، فإن جسد المسيح هو الذي يؤثر على نشاطاته واختياراته.

عطية الجسد

لقد اتضحت المعاني الجنسية من خلال التضحية بالجسد (الأفخارستيا)، فقد وجد العديد من الكُتَّاب أهمية عظمى للأخلاقيات الجنسية في الأفخارستيا، وأطلقوا عليها "عطية الجسد". "وَفِيمَ هُمْ يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ وَقَالَ: خُذُوا كُلُّوا، هَذَا هُوَ جَسَدِي." (مرقس ١٤: ٢٢)

يفسر المسيحيون الآية السابقة بطرق مختلفة، ولكن هناك اتفاق كبير على أن المسيح أثناء موته على الصليب قد قدم جسده كمثال على محبة الله بدمه المسفوك عن الجميع (مرقس ١٤: ٢٤).

لغة الجسد البشرية والإلهية

فيما يلي ثلاث عبارات منفصلة عن التشابهات الموجودة بين المحبة الإلهية التي نتشارك فيها في العشاء المقدس وبين الحب الجنسي الذي يتشارك فيه الزوجان:

- "يتضح لأي شخص نال عطية جسد شريك حياته أثناء المعاشرة الجنسية، ونال عطية جسد المسيح في العشاء الرباني أن هناك تشابهات مكتشفة بين النشَاطَيْنِ، فكلاهما يحمل لنا الفرح والشبع، وكلاهما يحمل عهود المحبة، وكلاهما يرمز للاحتفال والحرية."

هناك عدة أمور متشابهة، وكلها تستند على الخبرات التي نالها من تناول جسد المسيح ومن الاستمتاع بجسد شريك الحياة. يقدم لنا ثيموثي *زادكليف* "عدة مقارنات بين الأفخارستيا والمعاشرة الجنسية. - "يمكن للمرء أن يدرك لمحة عن عمق وجمال الجنس إن نظر إلى العشاء الأخير، ففي العشاء الأخير نتعلم كيف نهب أجسادنا للآخرين، وكما يساعدنا العشاء الأخير على إدراك الجنس كذلك يساعدنا الجنس على إدراك فكرة العشاء الأخير."

وبهذا أوضح لنا *زادكليف* "أن الجسد هو "مجال التواصل"؛ فالبشر يقومون بالتشارك في الطعام للحصول على شركة حميمة وتقارب بين بعضهم، وحين أراد يسوع أن ينشأ عهدًا جديدًا بين الله والبشر قام بجمع تلاميذه من أجل وجبة، ولم يكن الطعام وسيلة للتغذية فحسب بل كان تعبيرًا عن الحياة المشتركة بين البشر والله. وكذلك أيضًا في المحبة البشرية، يكون هناك ذلك الاتصال والتواصل الجسدي:

- "تصبح المعاشرة الجنسية تعبيرًا أساسيًا عن الاتحاد، قد لا نتقارب بالكلام قبل المعاشرة أو بعدها - على الرغم من كون ذلك مهمًا - لكن السلوك الجنسي نفسه هو ما يساهم في التواصل والتقارب، فهو سلوك يعبر عن شخصية صاحبه، وهو سلوك وطريقة عميقة للتكلم والتعبير. وهنا نطرح سؤالاً: إلى أي مدى نريد أن نتواصل جنسيًا؟ حسنًا، يسوع لم ييخل علينا بشيء، لقد وهبنا جسده. وكما يقول *زادكليف*:" حين وهبنا جسده، أدركنّا المغذى العميق للجسد، وتلك الكلمات التي نطق

بها في العشاء الأخير تأخذنا إلى صميم الأخلاقيات الجنسية، فالجنس هو الوحدة، وهو سلوك مُعَبَّرٌ عن السخاء في العطاء واستقبال العطية. "إن الحب الجنسي هو مكان للنقة وإكرام شريك الحياة، هو مكان تنتصر فيه الشراكة على السيطرة.

لغة الجسد كلفة للتعبير عن الحب

وراء اللغة اللفظية هناك لغة جسدية، ووراء لغة الجسد هناك لغة طقسية وحركات رمزية تحمل في طياتها معانٍ اجتماعية مقبولة، ويجب أن نتذكر أن العبارة التالية: "ها أنا أعطيك جسدي!" هي لسان حال الحَبِيبَيْنِ أثناء ممارستهما الجنس معًا. في العشاء الأخير وفي العلاقة الجنسية نجد أن الجسد ينكسر وأن الشخص يمنح جسده لمن يحبه واثقًا أنه سيستقبل تلك العطية بحبة ويتعامل معها بعناية.

لهذا وهكذا يعبر الحبيبان عن محبتهم وغفرانهم ومصالحتهما وعرفانهم من خلال تلك اللحظة الجنسية التي لا توجد فيها أقنعة بل عطاء كامل للذات، وليست المسيحية التي تفهم الاتصال الجنسي بهذه الطريقة وحدها بل آخرون أيضًا، والكنيسة الكاثوليكية قدمت لنا فهمًا لاهوتيًا مميزًا فهي تقول: "إن الله تجسد في شخص المسيح الذي قدم جسده في العشاء الأخير من أجل خلاص الجميع هو نفسه الله المتجسد في قلوب المُحِبِّينِ وعطائهم من أجل متعة العلاقة. ولهذا فإن العشاء والزيجة يُعْتَبَرَا سِرَّيْنِ مُقَدَّسَيْنِ في الكنيسة الكاثوليكية."

أحيانًا يغفل الناس هذه الأفكار عن المعاشرة الجنسية معتقدين أنها أفكار وتشبيهات غير واقعية بشكل كبير، ويعتبرون أن تلك التشبيهات هي محاولة إضفاء معنى على نشاط أَرَعَن هَزْلِيٍّ. ولكن هذا نقدًا غير عادل، فالجنس لا يحتاج إلى صبغة ذات معنى فائق في كل مرة يُمارَس فيها، ولكن في الوقت ذاته هو يحمل تلك المعاني التي تكلمنا عنها، ومن الإيجابي أن تشجع المسيحية وتقدر قيمة الجنس، وأرى أنه من الإفلاس أن لا تُدْخِلَ العوامل سالفة الذكر في المشهد الجنسي إن أردنا أن ندركه إدراكًا سليمًا. غالبًا ما نحصل على صورة مشوهة عن الجنس لأننا لا نقدر قيمة الاتحاد والعطاء ولغة الجسد التي تعبر عن الحب والفرح التي يحملها الجنس.

هل يكون الجنس ممتعًا إذا ما مُورِسَ فقط بين رجل وامرأة في إطار الزواج ؟

هذا ما سنناقشه في الفصلين الخامس والسادس.

الفصل الرابع

الإدراك السليم للاختلاف الجنسي

من الاختلاف إلى اللامبالاة

في هذا الفصل سنضع الاختلاف الجنسي في إطار عقائدي مسيحي يساعدنا على فهمه، وهناك ثلاثة اختلافات سنكتشفها وهي الاختلاف البيولوجي بين الذكر والأنثى، والاختلاف النوعي بين المذكر والمؤنث، واختلاف التوجهات بين شهوات الأشخاص المُعَايِرِينَ وَالْمُتَّيِّبِينَ. سنقوم بدراسة النوعين الأولين في هذا الفصل، أما الجنسية المثلية سنؤجلها للفصل القادم.

المعاني المختلفة للاختلاف

الثلاثة اختلافات السابقة قامت بعمل تصنيفات وانشاقات بين الناس، والعنوان الفرعي لهذا الفصل هو "من الاختلاف إلى اللامبالاة" يشير إلى المعتقد الحديث العلماني والديني الذي ابتعد عن التركيز على الاختلاف ليركز على شيء أفضل وهو تقدير قيمتنا البشرية، فالناس متساوون، الله يحبهم بالتساوي، ولجميعهم نفس الحقوق، ولكن حين نسعى وراء المساواة لا يجب أن نغفل الاختلافات العديدة بين البشر ونركز على الاختلافات الجنسية فحسب.

إن كلمة "اختلاف" في حد ذاتها لها معاني مختلفة. فواحد من مضادات الاختلاف هو "التماثل" أو "التطابق"، وكلمة مختلف قد تعني عدة معاني بحسب سياقها في الجملة، فإن قلنا مثلاً: إن الفريق لعب بشكل مختلف

اليوم فإننا نعني أنه لعب أفضل من المعتاد، إلخ. أما معنى كلمة لا مبالاة هو عدم اكتراث أو عدم اهتمام وهذه هي نقطة الخلاف بين "الإنجليكان" وغيرهم في الوقت الحالي، وكلمة "لا مبالاة" هي "adiaphora" في اللغة اليونانية وتشير إلى الأمور التي لا تصنع اختلافًا، الأمور التي يُنظر إليها كأشياء غير ضرورية، وهي مواضيع يمكن أن لا نتفق عليها لكنها لن تصنع شقاقًا داخل الكنيسة. وكانت هذه طريقة مثمرة للتعامل مع الخلافات، فهناك بعض الخلافات التي تم إحالتها لفئة الخلافات الثانوية غير الجوهرية، ولكن وا أسفاه! كان هناك اختلاف في الآراء حول ما إذا كانت قضية الجنسية المثلية هي قضية أساسية أم قضية ثانوية. في هذا الفصل سنتعرض لبعض الخلافات التي كان يُعتقد أنها جوهرية وذات أهمية ثم تحولت إلى أمور ثانوية بخسّة القيمة والأهمية. وهذا هو ما يعنيه العنوان الفرعي للفصل "من الاختلاف إلى اللامبالاة". في الفصل التالي سنوضح أن الخلافات بين الجنسين وبين التوجهات هي أمور غير هامة ويجب أن نكون قادرين على الاسترخاء والاستمتاع بالأمر. ولكن للأسف هذا أمل يصعب تحقيقه!

أجساد مختلفة؟ أجناس مختلفة؟

بحسب النظرة المعاصرة فإن هناك نوعين، ذكر وأنثى حيث يوثق لنا سفر تكوين ١: ٢٧ هذا الاعتقاد ويؤكد: "فَخَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ."

هذه الآية من أصل آيتين تتكلمان عن الخليقة في سفر التكوين، ويتضح لنا أن الله خلقنا ذكراً وأنثى، والمسيح نفسه استخدم هذه الآية حين كان يقاوم التعاليم اليهودية عن الطلاق؛ فرجع إلى ما قبل ناموس موسى، إلى بداية الخليقة (مرقس ١٠: ٦)، لقد اقتبس يسوع الآية السابقة ومزجها مع الآية الثانية التي تتكلم عن الخليقة في تكوين ٢: ٢٤. "مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ. وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذَا لَيْسَا بَعْدَ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لَا يَفْرِقُهُ إِنْسَانٌ." (مرقس ١٠: ٧-٩، متى ١٩: ٥-٦)

لقد كان هناك الكثير من المناقشات حول معنى "جسد واحد"، ومن المؤكد أن الاتحاد أو الاتصال الجنسي هو واحد من تلك المعاني وهناك سبب آخر وراء كونهما جسداً واحداً وهو أن الله خلق المرأة من ضلع الرجل (تكوين ٢: ٢٢)، والرجل تعرف عليها: "فَقَالَ آدَمُ: هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لَأَنْهَا مِنْ امْرَأَةِ آدَمَ." الكلمة العبرية "issa" تعني "امرأة" و"زوجة" أي أن آدم وحواء كانا يُعْتَبَرَا مُتَزَوِّجَيْنِ. إن الزواج هو الجسد الواحد وهو شيء مقصود من الله ومقبول لديه.

جنسان متكاملان

اكتشف الإنجليكان والرومان الكاثوليك في الأربعين سنة الأخيرة أمراً جديداً في نصوص سفر التكوين، فقد أخذوا من الفيزياء فكرة "التكامل" وأقنعا نفسيهما بأن هذه الفكرة ستكون وسيلة لفهم الجنسين اللذين

خلقهما الله. إن واحد من خمسة معتقدات جوهرية لدى الإنجليكان اليوم هو أن تقسيم الجنس البشري إلى جنسين مختلفين يُكْمَلُ كل منهما الآخر لم يكن شيئاً بمحض الصدفة أو شيئاً شريئاً، بل على النقيض فهذا شيء صالح خلقه الله نفسه حين خلق الجنس البشري. وفكرة التكامل تقول إن الاختلافات بين الرجل والمرأة المقصود بها هو وجود صالح مشترك لكل منهما، وهناك إجماع عام بين المسيحيين على أن انقسام البشرية إلى جنسين هو جزء أصيل لا يتجزأ من خطة الله للخلق، وقد استخدم البابا يوحنا بولس الثاني هذه الفكرة، وكان يقول إن المرأة تُكْمَلُ الرجل مثلما يُكْمَلُها الرجل، فالأنوثة تعبر عن "الإنسان" بقدر ما تعبر عنه الذكورة، ولكن بشكل مختلف ومُكْمَلٍ.

يُعَدُّ هذا تطوراً غير مسبق في اللاهوت، وهناك عدة أسباب تجعل هذه الفكرة غير كافية. أولاً، هناك أشخاص لا يُعَرَّفُونَ أنفسهم على أساس الذكورة أو الأنوثة. أوضحت "سوسنة كورنويل" أن التمييز الشديد بين الذكر والأنثى، واللاهوت السيء الذي يدعم فكرة التمييز قد أدى إلى تهمة المُنَحْنَيْنِ والمتحولين جنسياً. أحياناً نجد علماء الإنسان يتكلمون عن "الجنس الثالث"، وبعض قبائل الأمريكيين الأصليين كانت تحتوي على ما يسمى بالـ "berdaches" ويُطلق عليهم الآن "الأناس ذوي الروحين"، وهؤلاء قد تبنا الأدوار الجنسية للرجل والمرأة معاً.

الإنسان: الجنس الواحد والوحيد

السبب الثاني هو أنه حتى القرن الثامن عشر، لم يكن الطب الغربي يعتقد في وجود جنسين، وهذه هي أغرب فكرة ستجدها عزيزي القارئ في هذا الكتاب، ولكن من الضروري للغاية أن تفهمها. لقد كان هناك جنس واحد يسمى "الإنسان" وكان "الإنسان" يوجد في مرتبة ما بين "الذكر" العظيم و"الأنثى" الأقل منزلة في الكمال. والكل يفهم أن المسيحية اعتادت أن تتكلم عن "الإنسان" فقد ظهر الله في صورة "إنسان". وهذه اللغة مازالت مستخدمة في أماكن عديدة من العالم (وبالأخص في روما)، وهي تقدم دليلاً واضحاً على أنه في معظم التاريخ المسيحي لم يكن هناك وجود للجنسين بل للجنس الواحد "الإنسان"، أما النساء كانت تتدرج في تصنيف أقل منزلة وأقل كمالاً.

قديمًا في علم الأحياء كان يظن الناس أن الرجل والمرأة لديهم نفس الجهاز التناسلي، فالمهبل لدى المرأة كان يحاكي العضو الذكري لدى الرجل، والمبايض لدى المرأة كانت تحاكي الخصيتين لدى الذكر، والرحم كان يحاكي كيس الصفن، والاختلاف فقط كان في الموقع الداخلي أو الخارجي للأعضاء التناسلية. والطب الغربي كان يعتمد بشكل كبير على الطبيب اليوناني والكاتب المدعو "جالين" (١٢٩-٢١٦ ق.م) وكان يعتقد أن المرأة تنتج حيوانات منوية مثلها مثل الرجل. (ولما لا؟ فهن أيضًا لديهن الأجهزة اللازمة لذلك. وهن أيضًا يستمتعن بهزة الجماع) وكان الطب الغربي يعتقد أن المرأة تحبل حين يتلاقى

حيوانها المنوي مع حيوان الرجل. والاعتقاد بأن المرأة تقذف المنى موجود في العهد الجديد "بِالْإِيمَان سَارَةُ نَفْسَهَا أَيْضًا أَخَذَتْ قُدْرَةً عَلَى إِنْشَاءِ نَسْلِ". (عبرانيين ١١: ١١)

كان لدى أرسطو تصور آخر، فقد كان يعتقد أن الرجل في عملية الحمل يقدم "الهيئة" أما المرأة تقدم "الجوهر" وهذه النظرية كان لها تأثير كبير على التقليد الكاثوليكي، ولكن نظرية "جالين" انتشرت بشكل كبير في المعتقدات الطبية حتى منتصف القرن الثامن عشر.

هل الرجل كامل والمرأة ناقصة؟

يتعلق الاختلاف الجنسي بدرجة الكمال، فأجساد الرجال أدفأ وأصلب، أما أجساد النساء أبرد وأنعم. كان المؤرخ القديم "ماتيو كوفلر" يشرح كيف أن صلابة الرجال المزعومة كانت تميز صرامتهم الأخلاقية ودورهم كـ "مُخْتَرِقِينَ وَمُعْتَبِينَ" في عملية "الإيلاج" الجنسية، وعلى النقيض فإن نعومة المرأة ورقفتها لها دلالة على كونها "مُخْتَرَقَةً" في عملية الجماع، ولهذا فإن الدور السلبي الذي كان منتظرًا من المرأة أن تلعبه لم يقتصر فقط على الجنس بل على السلوك المجتمعي بشكل عام. ولذلك فإن الرجال في العالم الروماني اليوناني كانوا يجسدون الصفات الإيجابية للقوة السياسية والجسدية ويجسدون العقلانية والروحانية والرفعة والنشاط أيضًا، بينما كانت تجسد النساء الصفات السلبية للضعف السياسي والجسدي، واللامنطقية، والأنانية، والدونية،

والسلبية. لقد كان هناك تمييز قوي بين الرجال والنساء في ذلك المجتمع الطبقي.

لاهوت جيد أم أيديولوجية سيئة؟

حين ندرك الخلفية الفكرية للأزمة القديمة ونفهمها، سنتفهم أن سلوك يسوع واتجاهاته تجاه المرأة كانت تُعدُّ ثقافة مُعَارِضَةً بشكل ملحوظ، ففكرية "الجنس الواحد" القديمة وضعت قاسماً مشتركاً بين الرجل والمرأة ولكن جاءت المعتقدات التقليدية بفكرة "الجنسين" مما أضعف هذا الحس بوجود قاسم مشترك، وسَلَطَ مذهب "الحدائث" الضوء على اختلافات بيولوجية حقيقية بين الجنسين، ولكنه ركز على تلك الاختلافات بشكل مفرط، وقبل أن نتوقف عن الكلام عن نظرية "الجنس الواحد" من المهم أن نلاحظ أن وجه النظر تلك عن الجنس أغفلت الفكرة الحديثة الداعية إلى المساواة. قام الجنس البشري بتحديد الاختلاف على أساس الرفعة الاجتماعية والبيولوجية المزعومة، مما أدى هذا إلى وجود افتراضات ونظريات تُحِطُّ من قدر المرأة، وبافتراض أن الرجل أكثر كمالاً من المرأة فقد كان هو وحده القادر على تمثيل الله، ولذلك حين تجسد الله أتى في صورة رجل. فكيف الله أن يتجسد في مخلوق غير كامل؟ ولكن بالنسبة لنا هذه الافتراضات لا أساس لها، كما أنها تُحِطُّ من شأن المرأة؛ لذلك لا يجب أن نسمح لها بأن تُلَوِّثَ لاهوتنا.

ثالثاً كان هناك جدل منطقي حول فكرة "التكميل" وهذا ما كان يناضل ضده البابا "يوحنا بولس الثاني"، فقد قال إنه على الرغم من أن الرجل

يُعَدُّ كاملاً بذاته، وكذلك المرأة، إلا أنه في مسألة الزواج لا يُعَدُّ كل منهما كاملاً على جدى، وفي هذا السياق طرح ثود سالزمان ومايكل لولر" سؤالاً كالتالي: "كيف يمكن لشخص كامل في ذاته و"مخزون الكمال" بداخله ليس في حاجة لاستكمال، أن يكون غير كامل بما يكفي ليكون شريكاً للحياة لشخص آخر؟"

بالنسبة للعديد من الناس، وقد تكون الأغلبية الكاسحة، يبدو مبدأ "التكميل" صائباً، لأن العديد من النساء يَسْعِينَ للحصول على علاقات مع الرجال والعكس صحيح، ولا شك أن النسل هو أحد أهداف الجنس ومن الصائب أن يعتقد المسيحيون أن الله قد دبر الجنس للحصول على أطفال، ولكن من الخاطئ أن نظن أنه من الطبيعي للأغلبية المُعَايِرَة أن تشتهي الجنس الآخر، ونعتقد أنه من "غير الطبيعي" للأقلية المثلية حدوث اختلاف، لمجرد أن الأقلية لا تريد أن تفعل ما تفعله الأغلبية، بل تريد استكشاف خبرات جديدة ومختلفة. وهنا يتم الوقوع في خطأين، الأول هو "القمع" عن طريق القانون أو المجتمع من وجهة نظر الأغلبية، والثاني هو الادعاء بأن مشيئة الله أو خطته تستثني الانحراف من القواعد السلوكية العامة، وأظن أن هذه لا تبدو أخباراً جيدة بالنسبة للأقليات!

أجناس مختلفة أم أدوار مختلفة؟

إن كلمة "جنس" لها تعاريف مختلفة، وربما الأكثر شيوعاً هو العلاقة بين الرجل والمرأة. والجنس (أو النوع) كلمة واسعة الانتشار، ويذكرنا

"هاريت برادلي" أن كافة المؤسسات التي تُكوّن المجتمع من حولنا (الزواج، العائلات، المدارس، أماكن العمل، النوادي، الملاهي الليلية، المنظمات السياسية) هي في الواقع "مُجَنّسة" وهي أماكن يتم فيها تحديد العلاقات بين الأفراد من حيث النوع، وبالطبع فإن الكنيسة أيضًا إحدى تلك المؤسسات الاجتماعية، وحين تستثني الكنيسة المرأة وتُقصيها، فإنها تنتشر فكرها للمجتمع وتجعله يعتنقه.

هناك انقسام كبير بين الليبراليين والمتحفظين من حيث الجنس (النوع)، وغالبًا ما يتخذ هذا الانقسام نوعًا من الجدل بين "مذهب الجوهريّة" و"مذهب البنائية"، وفي النقاشات اللاهوتية عن الجنس (النوع) سنجد أن "مذهب الجوهريّة" هو العقيدة التي تقول إن الله قد خلق البشرية وقَسَّمَهُمْ إلى جنسين مختلفين، كل منهما خُلِقَ للآخر فطبيعتنا المخلوقة صُمِّمَتْ كي نكون ذكراً وأنثى، وتلك الطبيعة لا يمكن أن تتغير. أما "مذهب البنائية" يقول إنه لا يوجد شيء ثابت فيما يتعلق بالجنس، فالأمور كلها "بنائية"، وكلمة "بنائية" هي الكلمة التي أُطْلِقَتْ على النظريات التي تفترض أن العلاقات الجنسية لم تُكشَفْ من خلال الله ولا من خلال الطبيعة، ولكنها بنايات طبيعية أنتجتها المجتمعات والأنظمة.

يجب علينا أن نتجنب الافتراضات المتطرفة لمذهب البنائية، لأنها ترى إما أن الجسد البشري شيء سلبي يُملَى عليه المجتمع أفعاله وهو غير قادر على المقاومة، أو على النقيض حيث ترى الشخص حرًا في بناء شخصيته بطريقة تتخطى حدود النظام الإلهي أو الطبيعي.

تآكل الازدواجية الجنسية

من الواضح أن المرأة قامت بعمل تطورات وتقدم ملحوظ في مجال التعليم والعمل في وظائف ومجالات كانت تقتصر فقط على الرجال. وعن قريب ستقوم سفينة حربية تابعة للأسطول الملكي البريطاني بالإبحار من مدينة "لبيموث" بقيادة امرأة! إن مسألة من يقوم بالوظيفة إذا كان رجلاً أم امرأة لم تعد قضية ذات أهمية، فما يهم الآن هو أن يكون الشخص المُعَيَّن هو أفضل شخص يقوم بتلك المهمة. أدت الأفكار العصرية والممارسات الحديثة إلى تآكل الازدواجية الجنسية والتفرقة بين الجنسين، ومشكلة المتشددین في اليهودية والمسيحية والإسلام فيما يتعلق بتقدم المرأة في تلك المجالات هي أنهم يعتقدون أن هذا مُنَافٍ للأساسات الإلهية للجنس البشري الموجودة في الكتب المقدسة، ولا يحكمون على الأمور من خلال الروح الذي يُعْلي من شأن المرأة كإنسان كامل، بل يحكمون بمفهوم البشر.

نقول "كرستين جودورف": "إن الكثير من النساء أصبحن قادة ومديرات متخصصات وثقات بالنفس يتشاركن بالسلطة واتخاذ القرارات مع آخرين يوميًا، وهن لا يمكنهن أن يكن نساء مختلفات في حياتهن الروحية أو المنزلية ليكن قادرات على الطاعة والخضوع للذات بحسب التقاليد الدينية هما أمران لازمان لحشمة المرأة ووقارها. تعتقد النساء المثقفات حول العالم أن طبيعة عملهن أعطت لهن ثقة في حياتهن

الزوجية ليكن شريكات لأزواجهن لا مرؤوسات (أفسس ٥: ٢٢-٢٤) ليكن مشتركات في اتخاذ القرار ولتسن مجرد خاضعات طائعات.

الاحتفال بالاختلاف في المسيح

ربما لم يكن الاحتفال بالاختلاف في المسيح هو ما تعودت الكنيسة أن تفعله! ولكن على الرغم من ذلك هناك أساسات لاهوتية تجعلنا نفهم أن الاختلاف شيء مُرَحَّبٌ بِهِ، أو لنكون أكثر تحديداً، الاختلاف شيء يساعد على الشراكة بين المؤمنين؛ لأنه يميل إلى الاعتراف بأن الله دفع كل ما له في شخص المسيح. إذا الاحتفال بالاختلاف ليس شعاراً سياسياً تافهاً يقاوم الاختلاف بين الطبقات والأعراق والأجناس!

جسد المسيح المتنوع

تحتوي رسالة أفسس على اللاهوت المسيحي للزواج، ولكننا سنركز على كيفية استخدام الكاتب لمصطلح "جسد المسيح" (أفسس ٥: ٢١-٣٣). إن العلاقة بين الزوج والزوجة هي أساس تشبيهي للعلاقة بين المسيح والكنيسة، فالمسيح هو العريس والكنيسة عروسه، والكنيسة أيضاً هي جسد المسيح، إذا جسد المسيح "أنثى" في أفسس ٥، ويتضح أن زيجة المسيح بالكنيسة ليست زيجة مثليين بل هي زيجة بين رجل وامرأة. والمسيح أثناء تجسده على الأرض جاء في صورة رجل، وقد أصبح المسيح والكنيسة جسداً واحداً (من يحب امرأته يحب نفسه) (أفسس ٥: ٢٨) هذا الجسد هو ذكر وأنثى معاً! بمعنى آخر، جسد

المسيح ثنائي الجنس! "لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضًا" ١ كو ١٢: ١٢، "وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرادًا." ١ كو ١٢: ٢٧.

ربما نكون قادرين على ملاحظة سمات هذا الجسد، جسد المسيح، الأمر الذي تم إغفاله أثناء كتابة العهد الجديد. أعضاء هذا الجسد هم ذكور وإناث، وليسوا جميعهم متساوين؛ فبولس الرسول يعلن بوضوح أن هناك بعض الأعضاء الواهية والفاحشة والتي يمكن الاستغناء عنها، وهذا دليل أيضًا على أن الاختلافات الجنسية (بحسب النوع) الموجودة في جسد المسيح، لا تصنع أي فارق! "لأننا جميعًا بروح واحد أيضًا اعتمدنا إلى جسد واحد، بنونا كنًا أم يوثانيين، عبيدًا أم أحرارًا، وجميعًا سقيينًا روحًا واحدًا." (١ كورنثوس ١٢: ١٣) وهناك آية مطابقة لهذه الآية نجدها في غلاطية ٣: ٢٨، وهناك العديد من الآيات الكتابية وبالأخص في ١ كورنثوس ١١، والتي نجد فيها أن الاختلاف الجنسي لا يشكل فارقًا، وهذه الآيات لا يُنظر إليها في الجدالات الحاضرة، بل تُوضَع في سياقها بحسب اللاهوت اليهودي لذلك الوقت، في حين أن هناك بعض العناصر الأخرى الكامنة من أفكار بولس يتم ذكرها.

يتضح لنا أن المسيح المتجسد "السيد" (باليونانية *dominus*) لم يتسبد أو يتسلط أو يسود (مرقس ١٠: ٤٢) على تلاميذه. فتعاليمه وحياته التي عاشها في خدمة الآخرين والتي عاشها من أجل امتداد ملكوت الله

كانت مُناقِضَةً للنموذج الذكوري الروماني المتفاخر المتباهي الذي يتكل على قوته الجسمانية وخشونته. قال الأديب القديم كولين كونواي: "بحسب المنظور لهوية الذكور في العالم القديم، فإن تبعية المسيح كانت تعني الإقلاع عن الذكورة، بكل ما تحمله من معاني قوة ورجولة!"

أشخاص مختلفون: كيان واحد

يمكننا أن ندرك الاختلافات بين الجنسين بشكل أفضل إن أدركنا اختلافًا آخر ذا أهمية أكثر رِفْعَةً للمؤمنين وهو الاختلاف الموجود داخل الله ذاته، بين أقانيمه الثلاثة. أشار "ميروسلاف فولف" لاحقًا إلى أن الذكورة والأنثوية هي سمات نتشاركها نحن كبشر مع الكائنات الأخرى وليس مع الله، فانه ليس مخلوقًا، وحين ندرك الاختلافات الموجودة بين الأقانيم الثلاثة سندرك الاختلافات الموجودة بين الجنسين البشريين، الذكر والأنثى. وبدلاً من محاولة وضع مُثُلٍ عليا للأنوثة والذكورة، يجب علينا أن نرى كل منهما في إطار الجسد المتناسل، وندع البناء المجتمعي للجنس (النوع) يلعب دوره منقاداً برؤية الهوية وبالعلاقات الموجودة بين الأقانيم الإلهية.

هناك الكثير من التشويه والتحريف في العلاقات الجنسية في كل مكان، وهذا التشويه يخضع للتغيرات المحلية، ودور المؤمنين لمعالجة هذا التشويه الموجود في العلاقات يبدأ من هذه التغيرات ومن السعي نحو تغييرها لتكون مطابقة لتلك الاختلافات الموجودة في الله، حيث الأقانيم

متساوية، وتستمد كينونتها من بعضها بعضًا، وتحب بعضها الآخر. يجب علينا أن نوطد المساواة بين الرجل والمرأة، ونسعى لتغيير الممارسات الاجتماعية التي تتجسد فيها دونية المرأة. في غموض الثالوث، لا نجد الاختلاف يتشوه من خلال تدخلات حمقاء من محاولات السيطرة والخضوع والتي من شأنها تدمير وحدانية الله، وهذا هو ما نتعلمه حين نرى الأقانيم تتنوع في وحدانية.

أجناس مختلفة: بشرية واحدة

كان لدى الرسول بولس رؤية ملحوظة عن "البشرية المتجددة" بفعل موت المسيح وقيامته فكتب: "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لَأَنْكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ." (غلاطية ٣: ٨). وللأسف هذه الآية قد هوجمت بشكل قوي من خلال آيات أخرى في العهد الجديد تدعم وتؤيد فكرة الاختلاف الجنسي.

لكن الآية سالفة الذكر يوجد بها نوع من الأدب وهذا هو ما جذب انتباه "سوسنة كورنويل":

ليس يهودي أو يوناني

ليس عبد ولا حر

ليس ذكر وأنثى

المقطع الأخير من هذا الآية نجد فيه أداة العطف "و" بين كلمة ذكر وأنثى، بينما في المقطعين اللذين يسبقاه نجد أداة الربط "ولا" ونقول

نقاشات حول زواج المثليين

قضية حديثة

المُجَبَّةُ التقليدية: مُغَايَرَةٌ قَسْرِيَّةٌ

(المُغَايَرَةُ هي اشتراك الجنس الآخر)

قام فريق من التقليديين بوضع حجة لاهوتية تقليدية عن الجنسية المثلية، كُتِبَتْ بطريقة واضحة، لكنها طويلة، لذلك حاولت تلخيصها بقدر الإمكان في مجموعة اعتراضات كما يلي:

١- يسعى الليبراليون بشكل خاطئ إلى إعادة تعريف مؤسسة الزواج نفسها، وهو أمر غير مقبول للأغلبية العظمى من المسيحيين والكنائس، فالزواج الكتابي زواج حصري على امرأة ورجل، وهو ذلك العهد الدائم بين رجل وامرأة. ويمكننا أن نطلق على هذه النقطة "الاعتراض التعريفي"

٢- أهان الليبراليون الكتاب المقدس وعارضوه من خلال مباركتهم للزيجات المثلية. ونطلق على هذه النقطة "الاعتراض الكتابي"

٣- لدى الليبراليون توجه عام بمحاولة جَعْلِ طبيعة وأسس الإيمان المسيحي أشياءً ضحلة، فالمجتمع العصري بثقافته هو الذي يغذي أفكارهم أكثر من تبعيتهم للمسيح ومحاولة التعلم من الكتاب المقدس. ونطلق على هذه النقطة "الاعتراض الثقافي"

٤- يرفض الليبراليون الاعتراف بأن الله قد صمم العلاقة المُغَايِرَة مدى الحياة بين الجنسين، وجعلها طريقة سليمة لتتشنه الأطفال. ونطلق على هذه النقطة "الاعتراض الجوهري أو المُغَايِر"

٥- مفهوم الليبراليين عن الزواج ناقص وغير مكتمل؛ لأنهم يتجاهلون العلاقة بين الزواج، في خطة الله، وبين إثمار البشرية من خلال الأطفال والعائلات. ونطلق على هذه النقطة "الاعتراض الإنجابي"

٦- لا يقر الليبراليون بأنه على الرغم من أن الله أعاد ترتيب الخليقة ونظامها كي تكون مُشَارِكَة في قيامة المسيح، إلا أن ذلك النظام أيضًا بقي مُغَايِرًا، وقد أعلن الله عن قصده: وهو اتحاد الرجل والمرأة في جسد واحد. ونطلق على هذه النقطة "الاعتراض الأخروي"

٧- الحجة الليبرالية غارقة في المحاولة المدمرة التي يسعى إليها العلم والتكنولوجيا لإخضاع الطبيعة لإرادتهما. فالليبراليون يساومون بين التحول الموجود في الفكر الغربي من تمييز المعنى والهدف في الطبيعة إلى سلوك يجعلهم أحرارًا على فرض رغباتهم ومشئيتهم على الطبيعة. ونطلق على هذا "الاعتراض التكنوقراطي"

٨- يتجاهل الليبراليون القانون الطبيعي والنظام الأخلاقي العملي، فالزواج المغاير والهدف الإنجابي منه شيء واضح للعيان من خلال القانون الطبيعي والنظام الأخلاقي بدون الحاجة إلى شرحه من منظور مسيحي. ونطلق على هذه النقطة "اعتراض القانون الطبيعي"

"سوسة" إن عبارة "ذكر وأنثى" هي عبارة شاملة ولكنها مفردة "كبناء مجتمعي محدود" يمر من خلال المسيح، وهذه الفكرة تنطبق تمامًا مع فكرة الجنس الواحد الموجود في تواصل مع بعضه التي ناقشناها في السابق. في الخليقة الجديدة، الاختلاف البيولوجي ليس هو الشيء الأساسي والمُحدَّد لأعضاء المجتمع الجديد الذي هو جسد المسيح، فالمجتمع المسيحي في علاقاته يتعامل مع الإنسان الجديد والكامل الذي افتداه المسيح، وبذلك وبحسب العنوان الفرعي المستخدم في هذا الفصل فإن "الاختلاف" الجنسي أصبح أمرًا غير هام ولم يعد نقطة جدال بحسب المفهوم المُستنتج من هذه الآية.

الفصل الخامس

الإدراك السليم للجنسية المثلية

من الاشمئزاز إلى القبول

تم طرح الكثير من الأسئلة حول قبول فكرة زواج المثليين أو تنصيبهم كهنة أو شمامسة داخل الكنيسة، وأعترف بأنني سأزيد على الكلام كلاماً في محاولة مختلفة مني لتوضيح الأمر في هذا الفصل. أولاً، سنقوم بطرح ملخصات لجدالات الليبرالية وتقليدية قديمة عن العلاقات المثلية وطبيعة الزواج في صورة اعتراضات وادعاءات مُعارضة. ثانياً، سنقوم بتحليل ما قلناه، ولن يتفاجأ القارئ حين يجد أن الحجج التقليدية يُنْقَضُها اللاهوت، وتُعدُّ كارثةً رَعَوِيَّةً. ثالثاً، سنوسع في مناقشة نظرية الجنس القديمة التي تكلمنا عنها في الفصل الرابع، والأفكار التي تتضمنها هذه النظرية ستعطي ثِقلاً وتأييداً للنظرية الليبرالية. هل يمكن أن يُسَمَّحَ بالزواج المثلي داخل الكنيسة؟ هذا هو ما سنجيب عنه في هذا الفصل بعدما نفهم ماهية الزواج.

في ديسمبر ٢٠١١ تم تخصيص نسخة كاملة من جريدة "Anglican Theological Review" لموضوع العلاقات المثلية وطبيعة الزواج، وكان هناك مجموعتان من اللاهوتيين، كل منهما قدم حجته وناظر الآخر في مزاعمه. ثم قام لاهوتيون آخرون بالتعليق على الأمور المتبادلة بينهما، والآن سنلقي نظرة عما أسفرت عنه تلك المناقشات.

٩- يحاول الليبراليون لِيَّ الأبحاث العلمية عن الجنسية المثلية لتتوافق مع أغراضهم الخاصة، وهناك أدلة غير كافية وغير واقعية في الوقت الحاضر تقول إن الانجذاب لنفس الجنس أمر غريزي أو فطري. ونطلق على هذه النقطة "اعتراض نقص الأدلة"

١٠- لا يجب أن يدَّعي الليبراليون أن التوجه المثلي لا يمكن تغييره؛ فهناك أدلة على وجود نتائج إيجابية للتغيير، ولا تحدث تلك التغييرات كنتيجة لخدمات مسيحية أو برامج. يجب على المؤمن أن يتعلم أن رفض التساهل مع الشهوات الجنسية هو جزء من التلمذة الروحية بشكل عام وهو جزء يحتاج إلى تعلم أمور أخرى في مناحي الحياة والنضوج فيها أثناء رحلة العمر، ولا عذر للمثليين هنا. ونطلق على هذه النقطة "اعتراض النقص الروحي"

الحجة الليبرالية: الجنس المناسب وليس الجنس المغاير

يقدم الفريق الليبرالي حجة لا تخضع للمتشددين ولا لأطُرهم المرجعية، وإليك ملخص آراءهم:-

١- ادعاء القداسة: يتعلق الزواج بالقداسة، ويجب على الكنيسة أن تُروِّج المثليين لأنها بحاجة إلى شهادتهم عن محبة المسيح وعن الكنيسة، ولأنها يجب أن تعترف وتقر باحتياجات المثليين إلى التكريس والتقدّيس مثلهم مثل الجنس المغاير. يجب أن يتحلى المثليون بالطهارة والعفة ويتزوجوا.

٢- ادعاء التدخل الإلهي: الروح القدس نشيطٌ بداخل الكنائس التي تعترف بقداسة زواج المثليين، وهنا يتم الاستناد إلى تشابه بين الموقف الذي واجهته الكنيسة أثناء اعتناق الأمم الإيمان المسيحي وبين وقتنا الحالي. "قَائِدْهَسُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بُطْرُسَ، لِأَنَّ مَوْهَبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدْ انْسَكَبَتْ عَلَى الْأُمَمِ أَيْضًا." (أعمال الرسل ١٠: ٤٥). فقال بطرس: "أَتُرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْتَنِعَ الْمَاءَ حَتَّى لَا يَفْتَعِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضًا؟" (أعمال الرسل ١٠: ٤٧). ويقتبس الليبراليون سؤال بطرس، فيقولون عن الجنس المثلي: "هل يمكن لأحد أن يمنع البركة عن هؤلاء الأشخاص الذين نالوا الروح القدس مثلما نلناه نحن؟"

٣- ادعاء الإثمار العام: الهدف الإنجابي للزواج ليس مطلقاً، لذلك فإن هذا الشرط لاشتواء الجنس المغاير غير ضروري، فالمسيح قد جاء وقد أصبح الإثمار روحياً وكيفياً وليس كمياً، ولهذا كان الجدل قوياً حول مسألة البتولية في الكنيسة الأولى.

٤- الادعاء التبشيري: الليبراليون أمناء تجاه الكتاب المقدس وتجاه إرسالية الله في مسألة زواج المثليين والسحاقيات.

٥- الادعاء التأويلي: قام الليبراليون بذكر نقطة جديدة تماماً لردهم على الحجة التقليدية بشأن استهانتهم بكلمة الله وعدم الخضوع لها، وقاموا بذكر الناس الذين لم يكن لدى كَاتِبُو الكتاب المقدس وقت لهم:

"نحن نقرأ مع مجتمع واسع من القُرَّاء عن العديد من الذين لم تذكرهم الكنيسة ولا النصوص الكتابية. فمن خلال المنظور الكتابي لبعض النصوص نجد النساء والزوجات والعبيد والأمم والأقليات الجنسية يُوضَعُوا في مرتبة أقل من الأدميين من أجل إعلان الله، والآن عدد كبير من قُرَّاء الكنيسة المسيحية يتساءلون عن هذه السلوكيات وعن الافتراضات الاجتماعية التي بُنِيَتْ عليها، فنحن نقرأ النصوص الكتابية عن الزواج في وسط ثقافة وعالم من الأفكار مليء بفكرة تسلط الزوج على الزوجة، والسيد على العبد، والآباء على الأبناء، الأمر الذي نحاول الآن مقاومته بفكرة المساواة والديموقراطية والفرص المشتركة، ونحن نرحب بهذا التطور كشيء إيجابي ويتعلق بالشهادة الاجتماعية المسيحية."

٦- الادعاء التحوُّلي: أعاد الليبراليون تعريف "الانجذاب" أو "التوجه الجنسي" من حيث قام المسيح يسوع بتغييره! فيسألون: ما هو التوجه الجنسي؟ هل هو تَوَجُّهٌ للشهوة، فالله "يَفْتَحُ يَدَهُ فَيَشْبِعُ كُلَّ حَيٍّ رِضًى" (مزمور ١٦: ١٤٥)، إن أردنا أن نقوم بتعريف "التوجه الجنسي" من منظور لاهوتي؛ فإنه نزعة كامنة زائدة أو ناقصة يستخدمها المسيح ليقوم بتوجيه الشهوة إلى ذاته من خلال تَوَجِّهِنَا نَحْنُ الشَّهْوَةُ إلى كيان بشري آخر، وهذا التعريف جعلهم قادرين على قبول فكرة زواج الشخص من الجنس المناسب له، ليس بالضرورة مغايرًا أو مثليًا، ولذلك فهم يقولون: إن الشخص المُوَجَّه جنسيًا هو شخص قادر على النمو

والتحسن الأخلاقي من خلال علاقته مع شخص من جنس مناسب يميل إليه، ولا يجب بالضرورة أن يكون من الجنس الآخر.

دراسة الحجج

الحجة الليبرالية: خيبة أمل

على الرغم من أنني لست على خلاف مع الحجة الليبرالية إلا أنني أعتقد أنها لم تكن فعالة، ومن السهل أن نرى تضادها مع الحقائق الواضحة للأفكار المتشددة. لقد كان الزواج دائماً ما بين رجل وامرأة، أما التغيير الذي يريده الليبراليون هو تغيير خطير وجوهري، وكان من الأفضل أن يتم إلقاء الضوء على التغييرات التي حدثت بالفعل منذ الأزمنة الكتابية، والتي تتعلق بالزواج وبالممارسات الجنسية الأخرى المتنوعة. يُذكر "مارك جوردين" المتشدد بوجود العديد من الممارسات الجنسية التي أدانتها الكنيسة ولكنها أصبحت الآن مقبولة بشكل كامل جنباً إلى جنب مع الحط من شأن الزواج بحسب ادعاءات التطهر وعدم النجاسة والتصورات حول المرأة أن بها شيطان. كما يُذكرنا أيضاً بأن الممارسات الأممية قد أصبحت الآن مألوفاً في الزواج بينما كانت تعتبر من قبل ممارسات شيطانية وغير طبيعية، ولذلك فحين ندين جزءاً واحداً من شيء ما ونتجاهل بقية الأمور من حوله فإن هذا يُعدّ من أسوأ أنواع الطرق لإثبات صحة النصوص.

وفيما يتعلق بالزواج فإننا نجد التغييرات التي حدثت منذ الأزمنة الكتابية إلى الآن خطيرة. فالزواج الكتابي كان له نظرة جنسية للمرأة تُوقّفت في

الفصل الرابع، فقد نشأنا على عقائد سخيفة تدعم سلطة الرجل وسيادته، وتطلب من المرأة الخضوع والإذعان.

إن الزواج ليس مجرد علاقة شراكة تنتم بالتبادل والمساواة، بل اتضح أن الزواج هو مؤسسة ذات مرونة أيضًا (حتى بالنسبة للعديد من المسيحيين الذين يتبنون فكرة الطلاق والزواج مرة أخرى). والاعتراف بالزواج المثلي قد يكون استمرارية للتغيرات التي تم المفاوضات عليها بالفعل، وحين نتكلم عن التغيير فيجب علينا أن نقدم الأفكار اللاهوتية الداعمة له، وهذا ما لم يفعله الليبراليون.

هناك نقاط ضعف أخرى في الحجة الليبرالية، فالتشبيه بين قبول الأمم لعطية المعمودية وبين قبول الكنيسة لزواج المثليين يُعدُّ في النهاية مجرد تشبيه لم يَحْضُ كثيرًا في محاولة المقارنة بين القضيتين. وبعض الاستخدامات لآيات من الكتاب المقدس قد تكون غير قابلة للتصديق، فالـ"تَّوَجُّهُ" لا يمكن أن يُعاد تعريفه من خلال الرجوع إلى آية واحدة في مزمور ما بكل بساطة ثم نقيم عليه عقيدة كاملة! ولذلك فإن الليبراليين مذنبون مثل خصومهم بتفسير الآيات على هواهم لتتطابق مع أغراضهم ووجهات نظرهم.

وعلى الرغم من محاولاتهم إلا أنهم فشلوا في تقديم تفسيرات صحيحة للنصوص الكتابية، فسواء إن كانت استنتاجاتهم إبداعية أو تقليدية إلا أن كل من الجانبين تكلم عن "الجنسية المثلية" كما لو كان كُتَّابُ الكتاب المقدس يعرفونها بالفعل! على الرغم من أن ذلك المصطلح

والافتراضات الحديثة التي تتعلق به تم الحديث عنها لأول مرة عام ١٨٦٩م! لا شك أن الرجال مارسوا الجنس مع الرجال في العصور القديمة، كما يتضح لنا من سفر اللاويين، وهذا ما حَرَّمَهُ السفر كما حَرَّمَهُ بولس أيضًا، ولكن لم يُصَرَّحْ أي من الجانبين بالسبب الكتابي الذي جعل هذا الأمر مُحَرَّمًا. وهذا ما سنتطرق له بعد قليل.

الحجة التقليدية: عام

استخدم التقليديون الكثير من عظات المنابر والوثائق الكنسية للدلالة على فكرتهم، ولكن من المهم أن نقول إن الليبراليين قادرون على الرد بقوة على كل تلك الحجج، فمن الصحيح أن الزواج الكتابي اقتصر فقط على الزواج المغاير (النقطة الأولى)، لكن الزواج الكتابي أيضًا كان ذكوريًا تسلطيًا، ويجب على التقليديين أن يكونوا قادرين على الاتشفاق عن التعليم الكتابي عن هذا الشكل التسلطي من الزواج (وعن فكرة عدم الطلاق أيضًا).

وفكرة أن الكتاب المقدس يحمل معارضة واضحة للزواج المثلي (النقطة الثانية) أصبحت فكرة تأكيدية مُسْتَهْلَكَةٌ ذُكِرَتْ في العديد من الوثائق والمؤتمرات حتى أصبحت تشبه "التعويدة". أدان سفر اللاويين الممارسة الجنسية بين رجل ورجل (لاويين ١٨: ٢٢، ٢٠: ١٣) لكنه أدان أيضًا ممارسة الرجل مع امرأة طامثة (لاويين ١٩: ٢٤)، وأباح للرجل ممارسة الجنس مع الإماء (جمع: أمة) ماداموا يملكون (لاويين ١٩: ٢٠-٢٢). إن المسيحيين يطيعون المسيح لا ناموسًا قديمًا مبنياً على

الطهارة والملكية، على الرغم من كونه ضرورياً آنذاك. لماذا يصبر التقليديون على وجوب المسيحيين طاعة تلك الوصايا إذا؟

إن خطية أهل سدوم كانت الفشل في استضافة الغرباء، وهذا هو المعنى الواضح لنا مما ذكره يسوع عن هذه المدينة (متى ١٠: ١٥، لوقا ١٠: ١٢)، أما كافة التفسيرات المقدمة مترعزة، وممارسة النساء لعلاقات جنسية غير طبيعية (رومية ١: ٢٦) لا يجب أن نفسره اليوم على أنه "سحاق"، فربما كان المقصود بكلمة "غير طبيعية" هو ممارسة الجنس الفموي أو الشرجي مع الرجال، بحسب تفسير "كليمنت الإسكندري" و "أوغسطين" أما التقليديون يفترضون أن الأناس المُشَار إليهم في ١ كورنثوس ٦: ٩-١١، و ١ تيموثاوس ١: ١٠ هم أولئك الذين مارسوا السلوك الجنسي المتلى، وهذا افتراض يمكن دحضه بسهولة. ولا أحاول أن أغلظ التقليديين، ولكن الافتراضات والتفسيرات التي قدموها تشوبها المشكلات ولا تثبت أو تدلل على قناعاتهم على الإطلاق.

لماذا يُتَّهَم الليبراليون بتميع الإيمان واحتقاره وخلطه بالثقافة المعاصرة (النقطة الثالثة)؟ هذا هو ما يعتقد الكاثوليك أن الإنجليكان يفعلونه، فالليبراليون ينخرطون في الثقافة المعاصرة، ويحاولون تقديم رسالة الإنجيل كأخبار سارة فعلاً، وليس لدى الليبراليين مشكلة مع فكرة تصميم الله للعائلة حتى يكون للأبناء آباء (النقطة الرابعة).

أما موضوع التبني فهو قضية منفصلة، فالليبراليون يقولون بأن الزواج علاقة مثمرة (النقطة الخامسة). ولكن سؤالهم يدور حول ما إذا كان

الإثمار في الزواج يعني الإنجاب فقط! فالكثير من الأزواج العقماء والذين لديهم قدرة على الإنجاب يفضلون أن يظلوا بلا أطفال، وعلى الرغم من ذلك فإن قدسية زواجهم تظل قائمة، غير أن الكنيسة لم تركز أبدًا على فكرة الخصوبة البيولوجية كشرط لقبول الزواج.

هل الجنسية المغايرة أمر مفروض على الخليقة (النقطة السادسة)؟ وهذا ادعاء تقليدي مشكوك فيه، على الأقل كتابيًا، فربما لم يقرأوا الكتاب المقدس بشكل كافٍ، كما أن ملاحظة يسوع التي قالها تشير إلى أن الأزواج أثناء القيامة سيكونون مثل الملائكة (لوقا ٢٠: ٣٦)، وهذا دليل على أن الاختلاف الجنسي لن يكون له وجود في الأبدية، ولربما كان الليبراليون أكثر نشاطًا من التقليديين في مسألة مواجهة سيطرة الطبيعة من خلال التكنولوجيا (النقطة السابعة). لا يفرض المثليون أغراضهم وأهوائهم على الطبيعة، هم بالطبع يشكلون "أقلية جنسية" ولكن من أين جاءت لنا فكرة عدم الحيّان عن الطبيعة؟ إن الطبيعة نفسها منقسمة (النقطة الثامنة). أما بالنسبة للتهمة الموجهة إلى الليبراليين بأنهم يتلاعبون بالأدلة العلمية (النقطة التاسعة) فهي تهمة واضحة وهي تتعاضى وتتعامى عن اختيار التقليديين المُفرض لمؤسسات علمية معينة وقت السؤال عن الجنس.

يتمسك التقليديون بأفكار يجوز فيها تغيير التوجه أو الميل (النقطة العاشرة). فحين يقولون إن الجنسية المثلية هي مرض يتطلب العلاج، يجب عليهم أن يقرأوا شهادة واختبار المبشر المسيحي "جيرمي

ماركس"، وهو شخص انخرط في خدمة المثليين جنسياً لمساعدتهم على الخروج من محنتهم، وبعد ١٢ عاماً قال الكلمات التالية: "قام العالم الإنجلي بالتبرؤ من الحركة المثلية علناً، داعياً إلى مساوئها أكثر من فوائدها". يدعي الليبراليون أن الأدلة العلمية المتعلقة بتغيير التوجه هي أدلة متفق عليها بالإجماع، وقد لاحظوا أن المجمع الأمريكي الطبي قد أزال التوجه الجنسي المثلي من قائمة أمراضه عام ١٩٧٣ وأعلن المجمع الأمريكي النفسي أن ما يسمى "بالعلاج الترميمي" أمر غير أخلاقي عام ١٩٧٩، وأياً كانت آليات التدليل، فقد أعلنوا: "أن أخصائيي الرعاية الصحية قد اعترفوا بأن التوجه الجنسي هو شيء يولد به المرء قبل الاختيار وقبل الاستعداد الطبيعي. قد يكون المجتمع من قام بتشكيله لكنه لا يزول، وسواء إن كانت تلك التوجهات ذات الأقلية عددها ملايين أو عددها ضئيل فلا يمكن أن يتم إجبارها أخلاقياً على الدخول في أنماط من العلاقات التي ارتضاها الأغلبية."

تدهور الحالة الرعوية

إن حجة التقليديين مسؤولة بشكل كبير عن تدهور الحالة الرعوية، فهذه الحجة قد خلقت محنة شديدة بشكل مباشر، ومازالت هي السبب وراء الزيجات الفاشلة. وكان الرد الحاسم لليبراليين على هذا هو: "المشكلة التي تتعلق بزواج المُعَايِرِينَ ليست مسألة المُعَايِرَةِ في حد ذاتها أو اشتهاؤ الجنس الآخر، بل المشكلة هي تَقْوِيضُ الزواج والتي تؤدي

بدورها إلى فساد الجسد والزنى والطلاق بدلاً من إكرام الجسد والإخلاص والاستقامة."

إن مجموعة التعاليم المتحفظة عن الجنسية المثلية بأكملها مروعة، فهي تدمر أفضل مفاهيم التعليم الروحي الذي يبدأ بمحاولة فهم الاحتياجات المتعلقة بالرعاية والآلام التي يواجهها المرء، وتؤكد على اضطهاد الأقليات الجنسية، وتنتشر العنف ضدهم، وتنتشر فكرة الخوف من المثليين حول العالم، وتدمر بريق الإيمان الذي بدأ بالبزوغ في أعين غير المؤمنين الذين ينظرون إلى الحجة التقليدية وكأنها علامة على غياب المحبة والعدالة وعلى العمى الروحي بشكل مأسوي، فهي تؤكد على ضرورة التضحية من أجل المسيح ولكنها لا تهتم أو تبالي بالآلم الناتج عن عدم التسامح مع المثليين، وتقلل من شأن المعاناة التي تفرضها على المؤمنين .. المؤمنون الذين يسعون لتبعية من قال لهم: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالتَّحْمِلِينَ الْأَحْمَالَ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِجْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعْلَمُوا مَيِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبُ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَجَمَلِي خَفِيفٌ." (متى ١١: ٢٨-٣٠)

لا يوجد اعتراف بالاستخدام الخاطئ للتقليد الكتابي الذي استمر لمدة طويلة والذي عليه تُبْنَى عقائد التقليديين الآن، بنفس تلك الاستخدامات الخاطئة للكتاب المقدس أيدت فكرة العنف ضد السامية، وأحكام القتل التي فُرِضَتْ على آلاف من الساحرات، ودعمت العنصرية والعبودية والتمييز على أساس الجنس.

حاول اللاهوتيون المتعلمون وقادة الكنائس إبعاد أنفسهم عن تلك العواقب المروعة لتعاليمهم قَانِعِينَ نَفْسَهُمْ بِتَحَلِّيهِمْ بِاسْتِقَامَةِ الْخُلُقِ وَبِوُقُوفِهِمْ عَلَى أَرْضِيَّة صَلْبَةٍ مِنَ الْمَثَلِ الْعَلِيَا وَعِلْمِ اللاهوت.

مشكلة الجنس مرة أخرى

استمر الجدل في الاختِدَام، وقد تكون هناك أرضية جديدة قد ظهرت قادرة إلى إضفاء تأثير أكبر. في الفصل السابق، قمنا بنقد فكرة "التكامل"، وقمنا باستعراض فكرة "الجنس الواحد" التي كانت سائدة حتى القرن الثامن عشر، وقد كانت المرأة في مكانة أقل من الرجل. وقام الناس باختيار مصطلح "السلسلة" للتعبير عن معدل الأنواع الجنسية التي تكلمت عنها النظرية. تقول *ليانا سوانكات* وهي أحد المدافعات بشدة عن نظرية "الجنس الواحد": "لم ينظر القدماء إلى الإنسان أو يصنفوه بحسب الجنس كذكر وأنثى بل قام القدماء بتحديد الجسد البشري على أنه جسم واحد متعدد النوعيات التي هي عبارة عن صور لأصل واحد وهو جسم الرجل/الذكر."

هذه الفكرة تشرح لنا الخلفية التاريخية للتمييز ضد المرأة، كما أنها تشرح لنا أيضًا السبب وراء إدانة ممارسة الجنس للرجال مع الرجال في الكتاب المقدس، ولكن هذه الفكرة لم يعد يعتنقها أحد الآن، لذلك لا يمكن أن يُسْتَدَدَّ عليها كأساس لأي اعتراض ضد الجنسية المثلية. ما هو إذاً الرابط الذي يجمع بين النوع من حيث التذكير والتأنيث وبين الجنسية المثلية؟

إحدى الإجابات على هذا السؤال هي "التأثت"، فحين يمارس الرجل الجنس الشرجي مع رجل مثله، فإن أحدهما يدع الآخر يَحْتَرِفُهُ أَخْذاً دَوْرَ المرأة، وهذا يُعَدُّ أَمْراً محفوفاً بالمخاطر، وهناك إجماع واسع من العالم القديم على خطورة هذا الأمر، كما نجده أيضاً في العهد القديم "وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطَجَاعَ امْرَأَةٍ فَقَدْ فَعَلَا كِلَاهُمَا رِجْسًا. إِنَّهُمَا يَشْتَلَانِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا." (لاويين ١٣: ٢٠، ٢٢: ١٨)، لكننا الآن نعلم لماذا تُعَدُّ ممارسة رجل الجنس مع رجل جريمة تستحق الإعدام بحسب الناموس اللاوي، ليس السبب هو أن "الطائفة الإنجيلية" في ذلك الوقت كانت تُسمِّي هذا الفعل "الجنسية المثلية"، وكانت تقول إنه مَكْرَهَةٌ عند الرب!! فإن أُخْثِرَقَ الرجل أي تم دخول قضيب رجل آخر في فَتْحَتِهِ الشرجية (كما هو الحال مع مهبل المرأة) فقد تَأَثَّتَ وتخلّى عن رجولته، ولأن الرجولة كانت أفضل وأكثر كمالاً من الأنوثة، فمن الجنون أن يتخلّى الرجل عن رجولته ويضحى بها! رأى بولس الرسول أن الرجل يعكس صورة الله ومجده، بينما المرأة كانت انعكاساً أقل لصورة الله ومجده (١ كورنثوس ١١: ٧) وهذا هو ما تشرحه نظرية "الجنس الواحد"، فكلما كان المرء أقرب من صورة الذكر في "السلسلة" الموجودة في تلك النظرية، زادت احتمالية كَوْنِهِ انعكاساً لصورة الله، أما أي سلوك دَكْرِيّ يَتَأَثَّتُ فإنه يقلل من قيمة رجولة الذَّكَرِ بشكل تام.

وباء التأنث

هناك إجابة أخرى للسؤال السابق وتتعلق أيضًا بـ "سلسلة الجنس"، وهي الخوف من الانحدار! أو "درجة الانحدار" فقد كانت هناك محاولة لتجنب الانحدار من "الذكورة" إلى "التخنث" إلى "التأنث"، وقد أطلق "سوانكات" على هذا الخوف اسم "وباء التأنث"، وكان السؤال التالي يتردد بين الرجال: "ماذا لو لم تكن المرأة نوعًا مختلفًا، ماذا لو كانت مجرد نسخة أقل وغير كاملة من الرجل، ما الذي يمنع الرجل وقتئذٍ من الانحدار إلى العالم الأنثوي إذا؟"

يمكننا أن نزعّم أن "وباء التأنث" هو عبارة عن مشكلة لاهوتية مُستَديِن في ذلك إلى العقوبة التي تكلم عنها الرسول بولس التي سيعاني منها الأمم لممارستهم الجنس بطرق غير طبيعية في رومية ١: ١٨-٣٢.

إن الثمن الذي يدفعه الرجل الذي تقاعس عن الوصول إلى درجة عالية من التحكم بالذات والذي استسلم ليلعب الدور السلبي في الجنس (دور المُستَقْبِل) هو حرمانه من استمرار نوعه وتدميرهِ لذكورته الباهظة الثمينة، وبحسب هذه الفكرة فلو أن الرجل وافق أن "يُخْتَرَق" فهو بذلك يتخلى عن جزء من مُسَاكَلَتِهِ لله! فهو بذلك يسمح عن عمد أن تتم معاملة جسده مثلما تُعاملُ أجساد النساء، وبذلك فإن الرابط بين الجنس الذكوري السلبي وبين الوثنية أصبح واضحًا الآن، فالرجل يتخلى عن مشابهته لله حين يمارس الجنس مع رجل آخر، فاستسلامه لشهواته

المخزية يشكل خطرًا على خاصية الرجولة أو الذكورة الموجودة لديه والتي يتشاركها مع الطبيعة الإلهية.

الفكرة المتحررة (الليبرالية) عن الجنس المثلي

ليس لدى المتحررون (الليبراليون) أي مشكلة مع الجنس المثلي. "الجنسية المثلية والتقليد المسيحي الغربي" (١٩٥٥) للمؤلف "ديريك شيروين"، و"تحو فهم مسيحي للجنسية المثلية" (١٩٦٧) للمؤلف "كيبول جونز"، و"حان وقت الموافقة" (١٩٧٠) للمؤلف "تورمان بيتينجر"، قائمة الكتب السابقة هي قائمة كتب ليبرالية تقدم مفهومًا لاهوتيًا وتعاطفًا مسيحيًا نحو أقلية مُحْتَقَرَةٍ وَمُضْطَهَدَةٍ.

من حين لآخر تظهر مناقشات جديدة تضيف ثقلًا إلى العمل الأصلي الذي قدمه اللاهوتيون الليبراليون. أما العلماء التقليديون قد أثقلوا فهمنا للجنس في العالم القديم، والسبب وراء إدانة الجنس المثلي كخطية. ومن المؤسف أن الفريق الليبرالي لم يعطِ المزيد من الاهتمام للنسبوية التاريخية الموجودة في الجدالات المتشددة، ولم يحاول كشف فشل تلك الجدالات في توضيح الأصول القديمة للتحيز ضد المرأة، ولا الأصول الحديثة لمصطلحات مثل "الجنسية المثلية" و "الجنسية المغايرة" بل اهتموا أكثر ببعض الأفكار التي تكلمنا عنها في الفصلين السابقين؛ مثل نظرية "الجنس الواحد"، والتواصل الذكوري الأنثوي، وخطورة التأنيث، وتخلي الذكر عن صورة الله من خلال فعله أمورًا لا تمت للذكورة والرجولة بصيلةً، وكل هذه الأمور جعلتنا ندرك السبب وراء

خوف الناس من فكرة الجنسية المثلية. ففي حين كانت التحذيرات الكتابية تساهم في دعم الشرح الذي كانوا يقدمونه، إلا أننا نرى أنهم استندوا على افتراضات جنسية لم تُعد ذات مَعْدَى ولا لها قوة أخلاقية. لم نعد الآن نفكر أنه من الأفضل أن تكون رجالاً على أن تكون امرأة، فعلى الرغم من أن الرجال مازالوا يتمتعون بمزايا اجتماعية هائلة أكثر من النساء في كثير من المجتمعات، إلا أنه لا يوجد شيء ينقص من قيمة الإنسان الجوهرية حين يكون "امرأة". نعم بالطبع هناك اختلافات في الأعضاء الجنسية للرجل والمرأة، بخلاف أن أعضاء الرجل خارجية بينما أعضاء المرأة داخلية، واكتشاف هذه الاختلافات يقودنا إلى نتيجة صادمة: هناك على الأقل جنسان بيولوجيان! ومن المنطق أن نتكلم عنهما كجنسين، ولكن لا شك أن هذه الطريقة الحديثة في تناول هذا الأمر لها العديد من المساوئ؛ فهي تركز بشكل كبير على الاختلاف البيولوجي وتساهم في خلق تحارب ثقافي بين الجنسين، وتطرح أفكاراً جدلية جديدة، فهي تطرح فكرة "ازدواج الشكل" وهي فكرة لا تدع مجالاً لعدد لا يحصى من الناس الذين لا يستريحون لفكرة تصنيف الناس بتلك الصورة الجامدة إلى ذكر وأنثى، والذين أيضاً شهواتهم ورغباتهم لا تتوافق مع النمط الذي اقترحه آخرون وقرروه لهم.

إن هذه المساوئ لا يمكن أن تدعم الحجة التي تُرجح فكرة التواصل الذكري الأنثوي، فهذا مستحيل، والافتراضات المجتمعية التي كانت تُبنى على حقائق بيولوجية قد انتضح الآن عدم صحتها، ولكن حين تُدخض

نظرية التواصل الذكري الأنثوي التي تكلمنا عنها، فإن فكرة أن المرأة أقل من الرجل تتلاشى، وفكرة عدم الأخلاقية في تأنث الرجل أو سلوكه كأمراة تنتهي أيضا معها. ويبقى الخوف من الجنسية المثلية أمرا مبنيا على التمييز بين الجنسين.

الفصل السادس

الإدراك السليم للزواج

من التسلط الذكوري إلى روح المشاركة

لهذا الفصل ثلاثة أهداف، الأول هو تقديم عدة صور لاهوتية للزواج والتصديق عليها، وهذه الصور هامة للغاية لأي شخص يفكر في الزواج. أما الهدف الثاني، هو أن هذه الصور كانت وراء تَمَكُّن الكنيسة الغربية من تقديم الزواج للمثليين. ثالثاً، ستوضح هذه الصور كيف أن الاعتراف بزواج المثليين يتطابق تماماً مع مصادر الأخلاقيات الجنسية المسيحية التي تكلمنا عنها في الفصل الأول بحسب الكنيسة الغربية.

إن الزواج الموجود في الكتاب المقدس والتقليد المسيحي لم يعد مقبولاً في القرن الحادي والعشرين، فهناك الملايين من المسيحيين الذين يفهمون الكتاب المقدس بشكل حرفي ويحاولون إدانة المرأة بقدر الإمكان وإخضاعها نفسياً لزوجها، فيكون دور الرجل في الزواج هو الحب ودور المرأة هو الخضوع، فيجب على الزوجات أن يخضعن لأزواجهن في كل شيء (أفسس ٥: ٢٤). وهناك الكثير من النصوص التي تفرض أفكاراً غير متزنة أو متوازنة عن التمييز الجنسي وعن الزواج يتجادل عليها القساوسة حتى في الكنائس الإنجيلية إلى يومنا هذا عما إذا كانت تؤيد فكرة تسلط الرجل أما لا، وإن كانت تؤيد فكرة تسلط الرجل فماذا علينا أن نفعل؟ أتفق قليلاً مع رأي المؤرخين العلمانيين الذي يقول إنه على الرغم من الاستثناءات المنتظمة إلا أن

مؤسسة الزواج قد أعطت للرجل ترخيصاً ليسود المرأة ويتسلط عليها بشكل متطرف. الخبر السار عن الزواج هو أنه لا يجب أن يكون فيما بعد مؤسسة تَسْلُطِيَّة؛ بل بحسب الصور اللاهوتية التي سنقدمها، فإن الزواج هو علاقة شركة متساوية مُؤَسَّسَةٌ وَمُتَأَصِّلَةٌ في كيان الله التَّالُوثِيّ.

سبع صور للزواج

تكلمنا بالفعل في السابق عن أهم صورتين للزواج وهما "اتحاد الأشخاص" و"عطية الجسد".

اتحاد الأشخاص

ركزنا في الفصل الثالث على فكرة أن الله قد خلق البشر على صورته من خلال تركيزنا على العلاقات بين البشر وتشبيهها بين العلاقة الموجودة بين الأقانيم الثلاثة، فكل أقنوم من الأقانيم متفرد ومميز، وعلى الرغم من تفرد كل أقنوم إلا أن هذا لا يؤثر على وحدانية الله غير المتجزئة. إن الله يحيا في وحدة، كذلك حياة الإنسان خُلِقَتْ ليحيا في وحدة، إلا أن هذا المفهوم قد شَوَّهَ العنف والتشويش، وقد بات في حاجة للتصحيح. فنحن مخلوقون كي نتحد مع بعضنا الآخر ومع الله. والزواج يقدم لنا فرصة لنحيا في تلك الوحدة، ولذلك فإن الزواج هو اتحاد بين الأشخاص ويتضمن حميمية جسدية عميقة يشعر بها الزوجان بعد المجامعة، والتشارك في الحياة الزوجية، كما يقدم مثلاً

راقياً من الاندماج والاتحاد بين الأشخاص، ويجب أن نرى من خلال هذا الاتحاد بين الأشخاص الاتحاد الموجود بين أقانيم الثالوث.

عطية الجسد

الصورة الثانية للزواج، كما ذكرنا في الفصل الثالث، قُدِّمَتْ لَنَا بِالْوَانِ الْأَفْخَارِسْتِيَا الزَاهِيَةِ؛ فَتَضَحِيَّةُ الْمَسِيحِ بِجَسَدِهِ مِنْ أَجْلِ أَحِبَّاءِهِ لَهَا بُعْدٌ آخَرٌ فِي عِلَاقَةِ الشَّرِيكَ بِشَرِيكَهِ فِي الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ؛ حَيْثُ يُعْطَى كُلُّ مَنِهِمَا الْآخَرَ جَسَدَهُ، وَيَسْتَقْبَلُ عَطِيَّةَ الْجَسَدِ الْآخَرَ، وَالزَّوْاجُ لَا يَتَعَلَّقُ فَقْطاً بِتَسْلِيمِ الْجَسَدِ وَإِخْضَاعِهِ لِلشَّرِيكَ الْآخَرَ، وَلَكِنْ الْمَسِيحِيِّينَ يَرُونَ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئاً فَرِيداً فِي الزَّوْاجِ، وَهُوَ الْعَطَاءُ وَالْأَخْذُ الَّذِي يَسْتَمِرُّ بِشَكْلِ حَصْرِي وَأَمِينٍ وَدَائِمٍ، وَقَدْ أَصْبَحَ التَّعْبِيرُ الْجَسَدِيُّ عَنِ الْحُبِّ يَتَضَافَرُ مَعَ مِشَارَكَةِ الشَّرِيكَينَ لِلْحَيَاةِ بِالتَّزَامٍ كَامِلٍ تَجَاهَ بَعْضُهُمَا بَعْضاً، وَهُوَ نَفْسُ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ اللهُ حِينَ ضَحَّى بِذَاتِهِ مِنْ أَجْلِنا بِكُلِّ مَحَبَّةٍ، وَلِهَذَا أحياناً يُطْلَقُ عَلَى الزَّوْاجِ "المَحَاكَاةُ"، وَالْمَحَاكَاةُ هِيَ التَّمَاثُلُ وَالتَّطَابُقُ مَعَ شَيْءٍ آخَرَ، فَالزَّوْاجُ يَحَاكِي مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ لِلْكَنِيسَةِ، وَيُؤَيِّدُ كَاتِبُ رِسَالَةِ أَفْسُسِ هَذِهِ الْفِكْرَةَ، فَبَعْدَمَا اقْتَبَسَ فِكْرَةَ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ يَكْمَلُ يَقُولُ: "هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنِّي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ." (أَفْسُسُ ٥: ٣٢)، هَذَا السِّرُّ الْعَظِيمُ هُوَ الْحُبُّ الْمَوْجُودُ دَاخِلَ الزَّوْاجِ وَالَّذِي يَحَاكِي حُبَّ الْمَسِيحِ لِلْكَنِيسَةِ.

عهد

هناك وثيقة هامة أُصْدِرَتْ من المجمع الثاني للفاتيكان وتقول: "إن الشركة الحميمة في الحياة الزوجية والمحبة قد أسسها الخالق، ووضع لها قواعد وأصلها في عهد زواج يتم بموافقة شخصية لا رجعة فيها." من الواضح أن كنيسة الروم الكاثوليك كانت تنتظر للزواج على أنه عهد والعهد هو صورة وشركة لعهد المحبة بين المسيح والكنيسة. "جون كليفين" هو مؤسس فكرة عهد الزواج في التقليد البروتستانتي، وإن نظرنا نظرة متفحصة نجد أن علاقة الله بشعبه في العهد القديم كانت تُرى على أنها علاقة عهد.

سمات العقد	سمات العهد
يتعلق العقد بالأشياء	يتعلق العهد بالأشخاص
يتعلق العقد بالخدمات المقدمة للناس ويمكن الرجوع عنه	يتعلق العهد بالأشخاص ولا يمكن الرجوع عنه
العقد علماني ويمكن للمحامين أن يفهموه بشكل أكبر	العهد مقدس ويُقدَّرُ الشعراء واللاهوتيون
الشاهدون عليه هم الضامنون	الله هو من يشهد عليه وهو ضامنه
له قيمة اقتصادية فحسب	يتطلب نضوجاً روحياً وعاطفياً وعقلياً

هذا المفهوم عن الزواج كعهد والذي تقدمه الكنيسة للمتزوجين حديثاً، سواء إن كانوا مؤمنين أم لم يكونوا، يعبر عن خصوصية نواياهم بطريقة تفوقهم أيضاً نحو الإيمان. إن الزواج يقدم مستوى مختلفاً من العلاقات الإنسانية، يختلف عن العلاقات الإنسانية الأخرى كما يُعدُّ تحصيلاً ضد التجربة والشر الموجود في المجتمعات المتقدمة والذي يجعل البشر يتعاملون كأنهم مجرد أشياء، مما يقدم صورة للتسلط والتملك.

يحتاج الزوجان إلى لغة تعبر عن معاني التزاماتهما تجاه نفسيهما وتجاه بعضهما بعض، ولغة العهد تتوفر فيها هذه الشروط.

صورة العهد الجديد

إن عهد الزواج يخبرنا عن ماهية المسيحية، لأن الإيمان المسيحي هو عهد، العهد الجديد أو العهد القديم، العهد الجديد هو المسيحية، وهو ما ختمه المسيح بدمه (متى ٢٨: ٢٦، مرقس ١٤: ٢٤، ١ كورنثوس ١١: ٢٥). قدم البابا يوحنا بولس الثاني رابطاً دقيقاً بين عهد الزواج وبين عهد المسيحية فقال: "إن وحدة المحبة بين الله وشعبه، هي جزء من خبرة الإيمان والإعلان المقدم لشعب إسرائيل، وتلك الوحدة تجد مغذاها في عهد الزواج المؤسس بين الرجل والمرأة. لذلك فإن الجملة المركزية لإعلان الله لشعبه هو: الله يحب شعبه، وتلك المحبة هي ما يعبر عنه الرجل لامرأته في إطار الزواج، فيصبح رباط محبتهم صورة ورمزاً لعهد اتحاد الله مع شعبه"

لقد تصور البابا أن المحبة الإلهية تتحد مع المحبة البشرية لتثمر في علاقة الزواج إلى مدى الحياة أي أن هذه العلاقة المشتركة هي في الواقع شركة بين العهد الإلهي مع الجنس البشري وبين عهد المسيح مع شعب الله. ولهذا فإن المتزوجين قادرون على إيجاد طريقهم إلى الله من خلال محبتهم بعضهما بعضًا.

خدمة مشتركة

هناك تفاصيل مثيرة للجدل حول الفكر الغربي بشأن وجوب إتمام الزواج على يد كاهن ليكون الزواج مقدسًا. يتزوج الرجل والمرأة حين يقرآن بالعهود أمام الشهود، ويعلنهما الكاهن زوجين وبياركهما، ولكن ليست تلك المباركة هي ما تجعل الزواج زواجًا صالحًا (كما هو الحال في كنائسنا الشرقية).

قال مجمع ترنت "إنه لكي يكون الزواج صالحًا، يجب أن يتم على يد كاهن، ولكن وجود كاهن أو خادم أثناء حفل الزفاف لا يهدم المفهوم القديم القائل إن الزوجين هما من يمنح القدسية لزوجهما.

وهذه الفكرة المعاصرة ترجع إلى كون الزوجان شريكين في الخدمة، فهما لهما خدمة مشتركة، وهذه المساواة في الخدمة تطبق على كافة مناحي الزواج، فلا طرف يحب وطرف آخر يخضع، بل هناك روح للمشاركة؛ فحين يصلي الكاهن من أجل العروسين يطلب لهما الحكمة والتكريس من الله، والقوة وقت الحاجة والمشورة، وقت الحيرة والتعزية، وقت الحزن والمشاركة في الفرح.

وحدة القلب والعقل والجسد

تكلم يسوع عن الزواج بصيغة "الجسد الواحد" مقتبسًا من سفر التكوين ٢: ٢٤، ولأول مرة يتم استخدام هذا المصطلح في مرقس ١٠: ٨-٩، ومتى ١٩: ٥-٦، ثم يضيف: "قَالَ الَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ". وقد ظهرت معانٍ متنوعة من هذا التعريف للزواج، والمعنى الأكثر وضوحًا هو أن الزواج رباط غير قابل للانحلال، ففي سفر التكوين كان الرجل والمرأة جسداً واحداً لأن المرأة خُلِقَتْ من ضلع الرجل؛ فالرجل أدرك جسده من خلال جسد المرأة الذي خلقه الرب منه (تكوين ٢: ٢٢). ولكن مصطلح "الجسد الواحد" لم يكن مفضلاً لدى المرأة؛ لأنه كان يدعم فكرة ملكية الرجل لجسد المرأة لأنها مخلوقة من ضلعه، فهي تنتمي إلى زوجها بشكل كلي وكامل وحصري ولا رجعة فيه.

قدمت فكرة الاتحاد بين الزوج والزوجة نموذجًا مختلفًا لخدمة الزواج في كنيسة إنجلترا عام ٢٠٠٠، حيث تم إعلان الزواج كعطية من الله لخليقته يدرك الزوجان من خلالها نعمة الله من خلال نموها معًا في المحبة والثقة والاتحاد قلبًا وجسدًا وعقلًا مثلما يتحد المسيح مع عروسه التي هي الكنيسة فعطية الزواج تُؤخَذُ الزوج مع الزوجة في سعادة وحنان من خلال الاتصال الجنسي ومن خلال الالتزام في الحياة الزوجية والإخلاص إلى منتهى العمر، وتلك العطية هي أساس الحياة الأسرية التي ينمو فيها الأطفال ويتزعمون، والتي يجد فيها أفراد الأسرة

القوة والاتحاد والعزاء في الأوقات الجيدة، والأوقات العصيبة، وينمون معًا في التضج والمحبّة.

وفي الكلام السابق نجد دفاعًا عن فكرة السعادة والحنان داخل الاتصال الجنسي، مما يتناقض مع فكرة أن الزواج هو مجال لإشباع رغبات الرجل الجنسية وشهوته الجسدانية، ولكن الزواج هو علاقة اتحاد مقدسة تتضمن العقل والقلب والجسد.

تصوّر للنهاية

إن متعة الزواج هي صورة لنهاية العالم! أليس هذا شيئًا جنونيًا؟! العديد من الأمثلة والأقوال التي استخدمها يسوع كانت تتضمن صورًا من الزواج واحتفالات الزواج. قال الملاك للقديس يوحنا: "اُكْتُبْ: طُوبَى لِلْمَدْعُوتِينَ إِلَى عَشَاءِ عَزِيسِ الْخُرُوفِ." (رؤيا ١٩: ٩) وهنا نجد صورة مأخوذة من الزواج للتعبير عن حقيقة أكثر عمقًا: وهي حقيقة العرس السماوي، وهو ما يُطلقُ عليه "النَّصُوفُ الْعُرْسِيُّ".

إن فكرة "النَّصُوفِ الْعُرْسِيِّ" تساهم في إعطاء مفهوم جديد للكنيسة عن الزواج، فأيا كانت العلاقة بين المسيح والكنيسة، أو الخروف والمدينة السماوية، فجميعها تشبيهات مأخوذة من خبرة الاتحاد بين الزوجين، لأن الاتحاد الموجود بين الزوجة والزوج في الحياة العامة أصبح مادةً للتشبيه بين اتحاد الله مع شعبه. الزواج الكتابي يقتضي ضمناً الخطبة قبل الزواج، أي قبل الاتحاد هناك فترة انتظار وترقب، وفي نهايتها

يكون هناك حفل الزفاف للاحتفال بذلك الاتحاد، والكنيسة تنتظر مرور الأزمان واستعادة كل شيء من خلال المسيح (أعمال الرسل ٣: ٢١)، وصورة الزواج تعد تعبيرًا عن ذلك الأمل والرجاء الموجودين في الانتظار. إن الحب الزوجي يجعل الزوجين قَادرين على تخيل محبة الله للعالم التي تتغلب على أي شيء يقف ضدها، وفكرة "التصوف العرسي" تحمل في طياتها تشبيهات لاهوتية هامة وحيوية حيث استخدم الله تلك المصطلحات والتشبيهات للتعبير عن انتصار المحبة الإلهية في نهاية الزمن.

هذه الأفكار العقائدية الجوهرية تقدم إطارًا مسيحيًا واضحًا للأزواج ليختبروا محبة الله لهم من خلال محبتهم لبعضهم الآخر، وأولئك الأشخاص المسؤولون عن خدمة التعليم داخل الكنيسة يجب عليهم أن يفهموا أن التعلُّم الناجح يأتي من خلال الخبرة، ومن خلال المحبة المشتركة بين شريكي الحياة، والتي تساعدتهما على إدراك أعماق المحبة الإلهية التي جمعتهم معًا. فمثلما تقدم لنا العقيدة المسيحية فهمًا مسيحيًا عن الزواج كذلك أيضًا خبرة الزواج تقدم لنا مفهومًا عن محبة الله التي هي أساس للمحبة الموجودة بداخلنا.

إن الصميم العقائدي للفكر اللاهوتي عن الزواج هو "الله" وليس شيئًا آخر سواه، الله الظاهر في الجسد، الثالوث والإفخارستيا، وهذه الفكرة اللاهوتية تحمل أفكارًا تتضمن المشاركة وتبادل الأدوار، والرجاء فيما سيأتي، وفكرة العهد، والعطاء والأخذ والمحبة والإخلاص والالتزام.

من يَسْمَحُ له بالزواج إذا؟

هذه الصور عن الزواج ذات أهمية كبرى ويجب على الكنيسة أن تعلم قاداتها المفهوم اللاهوتي العميق عن الزواج في الإيمان المسيحي لكي يرى الْمُقْبِلُونَ على الزواج - من خلال زواجهم - ماهية الله وأعماله. وبعد تَنَاقُلِنَا لهذه الصور الغنية عن الزواج، نرجع مرة أخرى إلى السؤال المطروح في الفصل السابق، هل يُسْمَحُ إذاً للمتليين بالزواج؟

دائمًا ما وضعت الكنيسة أسسًا وقوانين للزواج بحسب لاوليين ١٨: ٦ - ١٨، و ٢٠: ١٧-٢١، فهناك موانع للزواج تتعلق بزواج الأقارب (في الكنيسة الغربية)، والحد العمري الأدنى للزواج، والعزوبية، وإدراك معنى الموافقة على الزواج. وكنيسة الروم الكاثوليك تَتَّبِعُ التقليد، فَتُحَرِّمُ أي شخص تزوج من قبل من الزواج ثانية، ولم يتم وضع قانون أبدًا يمنع زواج رجل من امرأة؛ فهذا شيء الجميع مُجْمِعٌ عليه، ولكن هناك جدلاً قوياً يتعلق بالأزواج المسيحيين السحاقيات والمتليين، فالزواج المثلي حدث غير مسبوق، وإن أَقَرَّتْهُ الكنيسة، سيكون أقوى تغيير حدث في تاريخ الزواج على الإطلاق، فالمطالبة بالتغيير أمر لا يتوقف، وهذا التغيير يجب دَرَجُهُ بين التغيرات التاريخية التي تطرأ على الزواج.

الشكل المتغير للزواج

منذ العهد الجديد طرأت تغيرات كثيرة على المجتمع، فالأولاد والبنات في بعض الأماكن يُحْطَبُونَ في سن مبكرة، ويتزوجون في الثانية عشر والرابعة عشر، فلأن الله قد خلق المرأة لولادة الأطفال، كلما بدأت في

مهمتها مبكرًا كلما كان أفضل. تزوج الملك "هنري" الثاني وهو في الثالثة من العمر، وفي عام ٢٠٠٨ في إنجلترا و والاس كان متوسط عمر الزواج للرجل هو ٣٢ عامًا والمرأة ٢٩ عامًا، وحتى بداية الألفية الثانية كان يتم ترتيب الزيجات بين العائلات. لقد أصبح الزواج سرًا مقدسًا فقط في القرن العشرين، وكان يُنظر للزواج على أنه عملية ممنهجة تبدأ بالخطبة. ولكن في عام ١٧٥٣ في إنجلترا، قام القانون البريطاني بتحديد الزواج كحدث منفصل وأسماء "الزفاف"، ومن ثم بدأت بعض الكنائس البروتستانتية التحريض على فكرة الطلاق والزواج الثاني، ومن هنا تغيرت مفاهيم الزواج للأبد.

تحاول الكنائس بشكل منتظم إعادة تعريف أهداف الزواج، وقد قمت بعمل مقارنة بين خدمات الزواج الموجودة في كتاب "الصلاة العامة" ١٦٦٢ وبين "العبادة العامة" ٢٠٠٠، وحاولت تسليط الضوء على أهم الاختلافات في الشكل والمحتوى (وأيضًا القواسم المشتركة).

قام مجمع "التنوير الأوروبي" بوضع أول تغيير عظيم طرأ على الزواج، حيث بدأ يُنظر إلى المرأة على أنها جنس منفصل، ثم بدأ يُنظر إليها على أنها جنس مساوٍ لجنس الرجل. فقط في النصف الثاني من القرن العشرين بدأت تظهر فكرة المساواة بين الرجل والمرأة من حيث التعليم وفرص العمل والوظائف المتاحة والأشغال التي اعتاد الرجال أن يشغلوها، أما داخل إطار الزواج تم إحلال المشاركة بدلاً من السيطرة من خلال فكرة المساواة.

إن الصور السابقة عن الزواج تُمكنُ الكنيسة من تأييد تلك التغيرات وشُكْرِ الله عليها. ولكن السؤال الجَدَلِيّ مازال باقياً، هل يمكن للزواج استيعاب المثليين؟

رسم صورة للزواج المثلي

كل الصور السبع السابقة يمكن تطبيقها على الزواج المثلي، فلننخل وجود سِحَاقِيَّتَيْنِ أو مِثْلِيَّيْنِ مُكَرَّسَيْنِ لِبَعْضِيَهُمَا، ويود كلاهما تقديم نفس العهود أمام الله، مثلها مثل أي زوجين ملتزمين، فهما يتعهدان بمحبة ورعاية بعضهما الآخر في السراء والضراء، في الغنى والفقر، في المرض والصحة، كما أحب المسيح الكنيسة، فهم يدخلون في علاقة اتحاد على رجاء النمو في المحبة والالتزام بشكل عميق، ليمنح كل منهما جسده للآخر مثلما منح المسيح جسده لأحبائه. إن علاقتهما هي علاقة عهد، فهما يرغبان في توثيق علاقتهما، وجعلها مُعلَّنة، ويقدمان العهد أمام الله وشعب الكنيسة، وسيدخلان معاً في عهد زواج مقدس يكتشفان من خلاله نعمة الله، ليصبحان جسداً واحداً وقلباً واحداً وعقلاً واحداً، وتستمر علاقتهما إلى أن يفصل بينهما الموت.

دخُنْ الاعترافات

دعونا نرجع إلى الاعتراضات التي أُثيرَتْ ضد الاعتراف بزواج المثليين في الفصل الخامس. أقوى الاعتراضات كانت تتعلق بالتعريفات، والمفهوم الكتابي، والجنسية المغايرة، وفكرة الإنجاب، والقوانين الطبيعية.

افترض "الاعتراض التعريفي" أن التعاريف تستمر إلى الأبد، وهذا غير صحيح، فهذا الاعتراض يحاول تسوية الخلاف من خلال رفض مناقشته من الأصل، فيقول إن الزواج هو علاقة دائمة بين رجل وامرأة فحسب.

تم وضع تعاريف مختلفة للزواج من خلال كنائس مختلفة على فترات زمنية مختلفة أيضاً، وتلك التعاريف كان بينها قواسم مشتركة واختلافات، وفكرة الطلاق والزواج الثاني غيّرت مفهوم الزواج إلى الأبد، فمفهومنا العصري عن كينونة الرجل والمرأة الآن يختلف بشكل كبير عن المفهوم القديم، فنحن لم نعد نؤمن بكون الرجل فائقاً على المرأة ونضع المرأة في مرتبة أدنى، ولم نعد نقول إن الرجل فقط هو الذي يعكس صورة الله، بل نفكر بالتساوي بين الرجل والمرأة. السؤال الحقيقي هنا، هل يمكن لِرُؤُوجَيْنِ مُتَلَيِّئَيْنِ أن يلتزما بالسبع صور التي قدمناها عن الزواج؟ من الواضح أنهما قادران على ذلك!

"الاعتراض الكتابي" تم تَفْنِيدُهُ بالفعل، ولكن من الواضح أن المعترضين يجدون صعوبة في الاعتراف بأن العالم الكتابي - العالم الذي دارت أحداث الكتاب المقدس فيه - يختلف بشكل ملحوظ عن عالمنا الآن، وأحد تلك الاختلافات هو الطريقة التي نفكر بها في الجسد الآن. فنحن لا نعتقد "مذهب الأخلاط" ونقول إن الجسد يتكون من أربعة عناصر يجب أن تكون في توازن مع بعضها حتى يكون الجسد صحيحاً، ولم نعد نؤمن أن المرأة تقذف حيوانات منوية، ولم نعد نعتقد أن الأرواح

الشريرة تتحكم في ظروف الجسد الصحية، ولم تعد بعض كنائس الغرب تعتقد أن الرجل حين يمارس الجنس مع الرجل فإنه بذلك يسيء استخدام شهوته التي يجب أن تُوجَّه إلى النساء فحسب، ولأننا لم نعد نؤمن أن المرأة أدنى منزلة من الرجل، فلسنا خائفين من "مرض التآنت" (الفصل الرابع). هناك تعريفات جديدة طرأت على مجتمعاتنا تساعدنا على فهم أنواع الميول الجنسية مثل "المتلية الجنسية" و"النزعة الجنسية". وهناك تعريف علمي للنزعة الجنسية يقول إنها تتحدد بشكل وراثي أثناء المولد وهناك هرمونات تؤثر في الجنين أثناء وجوده في الرحم، وبذلك فإن التوجه الجنسي أو النزعة الجنسية تكتمل في وقت الميلاد، وإن كان هذا التعريف صحيحاً فإذاً النزعة الجنسية أمر فسيولوجي فحسب، ولا يمكننا إضافة شيء عليه.

وهناك مصطلح آخر وهو "ازدواجية الميول الجنسية" (bisexuality) وهو أكثر شيوعاً من سابقه. التقرير الذي قدمته إحصائيات الصحة القومية بأمريكا قال إن ١١.٤% من النساء و ٤.٩% من الرجال فيما بين ٢٥ إلى ٤٤ سنة، مارسوا الجنس مع شخص من نفس الجنس مرة واحدة على الأقل خلال سنة، وهذا الاكتشاف يؤكد القناعة التي تقول أن التسميات الجنسية الحديثة غير دقيقة، ولا تتناسب مع الغرض، والمسيحيون كلهم بما فيهم من متحررين ومتحفظين سوف يتوقفون عن استخدام تلك التسميات. إن التفسيرات المقدمة للميول والتفضيلات الجنسية تصبح أكثر تعقيداً وأقل دلالة. يقول المسيحيون المتحررون إن

الأقلية الصغيرة تتجذب لأناس من نفس الجنس، وهؤلاء الأقليات المثلية يتعجبون من سبب رفض الله لتلك النزعة الجنسية الموجودة بداخلهم!

الأبناء

يبدو أن الاعتراضيين المغاير والإنجابي هما الأكثر قوة، وقد قلت كثيرًا أن الزواج هو أفضل بيئة لتنشئة الأطفال، لذلك لست على خلاف مع المتشددین في مسألة ربطهم بين الزواج والأبناء، ولكن الأمر كله يتعلق بما يُعنى بـ"أفضل بيئة لتنشئة الأطفال". فإن كانت القضية هنا هي مقدرة الزوجان المثليان على تبني طفل وتربيته، فهما بالطبع قادران. وَيَدَّعي البعض أن المثليين غير قادرين على تبني أطفال وتنشئتهم، وأن البيئة المثلية ليست البيئة الفضلى لتربية الأطفال، بينما قالت الجمعية الأمريكية النفسية في يوليو ٢٠٠٤ في قرارها عن التوجه الجنسي والآباء والأبناء: "لا يوجد أساس علمي يجعلنا نقول إن الأمهات السحاقيات أو الآباء المثليين غير قادرين/ قادرات على أن يكونوا آباء بحسب توجهاتهم ونزعاتهم الجنسية، بل على النقيض فقد أثبتت نتائج البحث أن المثليين قادرون والسحاقيات قادرات مثل غيرهم من الآباء على تقديم البيئة الصحية والتعاونية للأبناء، وأن أحوال الأطفال النفسية والصحية، الذين يتربون في مجتمعات مثلية، تكون مثل غيرهم من الأطفال الذين تربوا في مجتمعات مغايرة".

الكنايس محقة في إصرارها على أن أحد أهداف الزواج هو إنجاب الأطفال، واستمتاع الأطفال بالمزايا الممنوحة لهم من خلال عهود

الزواج التي قطعها أبواهما، والاعتراض الإنجابي يبدو شيئاً حديسياً أو بديهياً، لكن المتشددون والمتحفظون لا يعترضون على الزيجات المغايرة غير القادرة على الإنجاب، والتي أدرك فيها الزوجان عدم قدرتهما الإنجابية! على الرغم من صعوبة الإحصاء، إلا أنه يوجد ما يقرب من آلاف الأسر المسيحية تتزوج داخل الكنائس وليس لديها النية لإنجاب الأطفال، ولكنهم يتزوجون لوضع علاقتهم في إطار روحي أخلاقي، ولا يوجد أي اعتراض على هذا! لماذا إذاً يُسْتَنْدُ إلى حجة عدم الإنجاب في الزيجات المثلية؟ كما أن الإصرار على فكرة الإثمار البيولوجي تبدو فكرة غير كتابية، فالكتاب المقدس ينص على أن المؤمنين "وَلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنْ اللَّهِ." (يوحنا ١: ١٣).

من الغريب أن نجد أن المسيحيين البروتستانت يستندون إلى القوانين الطبيعية، لأن هذا الأمر عادة ما نجده في التقليد الكاثوليكي الأخلاقي، فالنظام الأخلاقي الموضوعي قادر على إخبارهم بالأمور الصحيحة التي كتبها الله. ولكن الجنسية المثلية أمر "طبيعي" للشخص الذي يمارسها، وبإله من خطأ ساذج أن نرفض "البعض" بسبب "الكل" أو نرفض "الأقلية" بسبب "الأغلبية".

كيف تدعم المصادر الزواج المثلي؟

تكلّمنا في الفصل الأول عن الأخلاقيات المسيحية، والجنسية منها بالأخص، وهذا بدوره قادنا إلى "المصادر"، والآن سنعيد النظر بشكل مختصر فيما تكلّمنا، لنوضح التوافق بين تلك المصادر وبين الجنسية المثلية.

الكتاب المقدس

يحتاج المثليون إلى توثيق زواجهم بتلك الشروط والعهود مثل أي زَوْجَيْنِ مُتَزَمِّينَ، وهذا أمر غير استباقي وحديث على الكنيسة، لذلك من غير المنطقي أن نتوقع أن يكون الكتاب المقدس قد تناوله بشكل مباشر، ولكن الكتاب المقدس أعلن لنا مَنْ هو الله، وما يفعله من خلال المسيح والروح القدس، ومُلكَ الله، والخلقة الجديدة التي أوجدها المسيح تتسم بمحبة الله والجيران والأعداء.

الاندفاع في إيجاد نصوص كتابية تُحَرِّمُ الجنسية المثلية أدت إلى وجود جدالات قائمة على تلك النصوص على حساب بعض الفقرات الكتابية التي نجدها تتكلم عن العلاقات المثلية بوضوح، فقصص داود ويونانان، وراعوث ونعمي، وقائد المئة وخادمه (متى ٨: ٥-١٣، لوقا ٧: ١-١٠) توضح لنا وجود علاقات من نفس الجنس (ليست جنسية أو رومانسية) في الكتاب المقدس، وتوضح لنا عدم الخوف من المثلية (التي يخشاها الغرب المتحفظ حتى في التعامل العادي). قال ثيودور

جينيغس" عن إنجيل يوحنا، التلميذ الذي أحبه يسوع: "فكرة تحديد التلميذ الذي أحبه يسوع توضح لنا نوعًا من المحبة يختلف عن تلك المحبة التي جمعت يسوع ببقية التلاميذ، فقد أعطاه محبة خاصة تختلف عن محبته للباقيين. وهذا يوضح لنا وجود محبة خاصة بين رجل ورجل، لا ندعي أنها محبة جنسية بالطبع، ولكن نقول إن هذا النوع من المحبة في العلاقة كان موجودًا بشكل طبيعي"

التقليد

التقليد دَائِمُ التَّغْيِيرِ، ونماذج القضايا التي ناقشها التعليم التقليدي تضمنت الرِّبَا الفاحش، والعبودية، وحرية الاعتقاد، والتقييم الأخلاقي للحروب، وقبول حقوق الإنسان. ما السبب وراء تغييرها؟ يمكننا أن نجد إجابة هذا السؤال في الفهم الأكثر تعمقًا لغموض المسيح! وفهم موازنة المسيح ومساندته للمتألمين والمظلومين. إن الجنسية المثلية هي نموذج آخر واضح لتلك المعاناة الظالمة وغير الضرورية والتي تتعلق بشكل مباشر بالتعاليم الكنسية! يجب على تلك التعاليم أن تتغير!

دائمًا ما ينتاب المسيحيون المتحفظون حالة من الذعر حين تُكشَفُ لهم تقاليد العنف التفسيرية! فالجانب القائم من تقليد الإيمان المسيحي هو اضطهاده لليهود، وحطُّه من شأن المرأة، وتمييز الناس بحسب اللون، والموافقة على العبودية، والمعاملة القاسية للأطفال غير الشرعيين وللعاهرات وخلافه.

الطريقة التي يقرأ بها المسيحيون المتحفظون الكتاب المقدس فيما يتعلق بمسألة الجنسية المثلية تشجع على كل هذه الشرور! ويجب عليهم الفصل بين غيَرتهم لله وبين تَخَوُّفِهِمْ مِنْ يَخْتَلِفُ عَنْهُمْ!

يجب أن نتغير فلا نحكم على الأقلية برأي الأغلبية، فنحن لم نعد نظن أن السود سودّ لأنهم أبناء كنعان التي لعنها الله، وأن المرضى مرضى لأن الله يعاقبهم على خطاياهم، وأن الفقراء فقراء لأن الله رفع البعض ووضع البعض. في كل هذه الحالات التعاطف يكون مع المظلومين، والحس المتنامي لدينا المتعلق بعجز التعاليم العقائدية الأولية، ساعدنا على التغير. نعم إن الفهم العميق لمحبة الله لجميع الناس جعلنا نتخلى عن تلك الأفكار الشنعاء.

الحمة، الضمير، والحكمة

يعد استخدام الخبرة حافزاً قوياً للتغيير، فهناك أمثلة لا تحصى من الموت، والاضطهاد، والعنف، والتمييز ضد الأقليات الجنسية، واللاهوت المسيحي يساهم بشكل مباشر في هذه الفظاعات. الضمير أيضاً حافز قوي للتغيير، فضمير الزوجين واضح أمام الله، وضمير علماء اللاهوت المتحفظين الذين يحبون الله، يجب أن ينصتوا له يوماً حين يضطرب بداخلهم فيما يتعلق بأفكارهم عن الجنس. أما الحكمة تُوظفُ كافة مصادر الفهم اللاهوتي لتقنعنا بالحقائق الإلهية، ولتجعلنا ندرك كافة المصادر التي تساعدنا على محبة الله ومحبة الآخرين بشكل

أفضل. وعليك أيها القارئ أن تقرر من خلال ما قرأته وما تقرأه أي المصادر أفضل وأكثر تأثيرًا وواقعية.

الفصل السابع

الإدراك السليم للروح

من الصلب إلى الوحي

في هذا الفصل الأخير من الكتاب سنتأمل مَليًّا في مقدرة الحب الجنسي على التوحيد بين الروحانية والجنس، وفي هذا الشرح المختصر سنحتاج لقراءة معاكسة لما قاله بولس الرسول عن الروح والجسد في غلاطية ٥:

٢٥-١٣

صَلْبُ الْجَسَدِ

حسبما يقول بولس الرسول فإن الجسد والروح في صراع، لذلك حث بولس أهل غلاطية: "وَأَمَّا أَقُولُ: أَشْكُوا بِالرُّوحِ فَلَا تُكَلِّمُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ. لِأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَبِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَا يَقَاوِمُ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لَا تُرِيدُونَ. وَلَكِنْ إِذَا اهْتَذْتُمْ بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ." (غلاطية ٥: ١٦-١٨). ثم يستكمل بولس شارحاً: "وَلَكِنْ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ. إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ، فَلَسْنَا أَيْضًا بِحَسَبِ الرُّوحِ." (غلاطية ٥: ٢٤-٢٥). ولا شك أن هذه الآيات وآيات أخرى مشابهة تم توظيفها للترويج لفكرة "الثنائية"، ولإلقاء الشبهات على النشاط الجنسي حتى داخل إطار الزواج، ولكن هناك أمران يتطلبان إعادة قراءة تعاليم بولس الرسول، والنظر لها بتقدير مختلف.

الأول، تحديد هوية خصوم بولس، فقد كان هناك الكثير من المسيحيين والمتحولين الجدد إلى الإيمان المسيحي، يؤمنون بوجوب التزامهم بالناموس اليهودي وقوانينه، وبولس يصر على أن المسيح قد حررهم من قيود الناموس القديم، ويجب عليهم استخدام هذه الحرية بشكل مسؤول وعدم العبث بها.

"فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا تُضَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدُمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. لِأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَكْمُلُ: تُحِبُّ قَرِينَكَ كَنَفْسِكَ. فَإِذَا كُنْتُمْ تَهْتَشُونَ وَتَأْكُلُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَأَنْظُرُوا لَعَلَّكُمْ تَقْنَعُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا." (غلاطية ٥: ١٣-١٥).

ويمكننا تطبيق ما سبق على المتحولين إلى الكنيسة العصرية والذين حوّلوا الأخلاقيات الجنسية إلى ناموس. مارس الجنس فقط في الزواج! لا تمارس الاستمناء! لا تمارس الجنس مطلقاً مع أي شخص إن كنت عازباً، أو مثلياً، أو لديك ميول للجنسين، أو مُطْلَقاً، أو أرملاً، أو مراهقاً مشحوناً بالهرمونات! هذا النوع من الأخلاقيات هو ما حاول المتحولون الجدد إلى المسيحية فَرْضَهُ على كنائس غلاطية في غياب بولس، وكان بولس حازماً في الرد على ذلك. معظم المعلمين والواعظين الكاثوليك والإنجيليين متأثرون بهذا المنهاج الذي يشبه الناموس فيما يتعلق بالأخلاقيات الجنسية، وهذه هي المشكلة؛ فعدد كبير من المسيحيين يسعون دائماً وراء الأمان الزائف الذي يأتي من الحرفية، والتحكم السطحي في حياة المرء ومعتقداته من خلال قانون مُقَصِّلٍ وحازم، فهُمْ

مازالوا يشحنون الأمان الزائف من الكنائس والقساوسة لكي يقوم آخرون بتنظيم حياتهم لهم، ووضع قوانين وضوابط يتبعونها.

الناموس والحرية

الإجابة المناسبة للاعتراض الليبرالي الذي قدمته هي "القوانين المتناقضة"؛ أي أن خصوم بولس والمسيحيين ذوي الأفكار المتحررة تجاهلوا فكرة أن الأخلاقيات تتطلب ناموسًا! ولكننا نجد بولس الرسول يصر على فكرة الاستخدام المسؤول للحرية التي لنا في المسيح: "فَأَنْتُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَةِ أَيْهَا الإِخْوَةُ. عِزَّ أَنْتُمْ لَا تُضَيِّرُوا الْخُرِّيَّةَ فُرْصَةَ لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدُمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. لِأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَكْمَلُ: تُحِبُّ قَرِينَكَ كَنَفْسِكَ." (رومية ٥: ١٣-١٤)

لقد تحرر المؤمن من سلطان ناموس العهد القديم، لكنه مدْعُو لمسؤولية أكبر، فمحبة الآخرين باتضاع ستقود إلى تجنب أي سلوك لا أخلاقي أو استغلالي كان من المفترض أن يمنعه الناموس!

"أَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زَنَى، عَهَارَةٌ، نَجَاسَةٌ، دَعَارَةٌ، عِبَادَةُ الْاَوْثَانِ، سِعْزٌ، عَدَاوَةٌ، خِصَامٌ، غِيْرَةٌ، سَخَطٌ، تَحَزُّبٌ، شِقَاقٌ، بِدْعَةٌ، حَسَدٌ، قَتْلٌ، سُكْرٌ، بَطَرٌ. وَأَمْثَالُ هَذِهِ الَّتِي أَشِيقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لَا يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ." (غلاطية ٥: ١٩-٢١)

إذاً معنى "الجسد" يتضح من خلال الزنى والعهارة والنجاسة والدعارة، وبعض الأعمال الجسدانية الأخرى، ولم أقابل مسيحيًا في حياتي يدافع عن أي عنصر من عناصر القائمة السابقة.

تنسم الحياة بالروح بالمحبة!

"وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلَامٌ، طَوْلُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صِلَاحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَقُّفٌ. ضِدُّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ ثَامُوسٌ. وَلَكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ. إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ، فَلْنَسْلُكْ أَيْضًا بِحَسَبِ الرُّوحِ." (غلاطية ٥: ٢١-٢٥)

طالما أن شهوات الجسد وأهوائه تقود إلى الزنى والعهارة والفجور، يجب أن تُصَلَّب. لكن العيش بالروح يحتاج أيضًا إلى رغبة وإرادة قوية.

الحياة بالروح

كان الرسول بولس مَعْنِيًا بالهوية المسيحية، وسلوك جماعات المؤمنين، وثمار الروح تتعلق بالعلاقات الداخلية بين المؤمنين، ومن الواضح أن التسعة أمثلة التي ضربها بولس، يمكن تطبيقها على العلاقات الجنسية، ربما لم يفكر بولس في الجنس حين كتب عن ثمار الروح القدس، فقد كان أكثر انشغالا بأعمال الجسد، لكن العلاقات الجنسية تنتمي أيضًا إلى العلاقات الشخصية، ويدعو الرسول بولس إلى ضرورة صَلْبِ أهواء الجسد الأنانية، والتساهل مع الذات والانغماس في الخطية، بينما يقول أن الروح القدس يقدم لنا روح المحبة، ومن خلال هذه النظرة يمكننا دمج الجنس أيضًا معها بشكل صحي وإيجابي. فحين نطبق هذه النظرة على الجنس ندرك إمكانيتنا على التمتع بالعلاقة الحميمية في الحب الجنسي.

حصد الثمار

إن الحياة بالروح القدس تُعْلي من شأن الحب المشترك لتصل به إلى السر المقدس الذي يتضمن التضحية الذاتية المشتركة بين الطرفين، فتطلق العنان للمحبة "أغابي"، فيحل التقدير والاحترام محل السيطرة، وتحل خدمة الآخر وتقديم كل شيء له محل الانغماس في الشهوات الأثانية، لأن الناموس كله يتلخص في وصية واحدة هي: أن تحب قريبك كنفسك!

لماذا نحاول إزالة المتعة الجنسية التي منحنا الله حق التمتع بها من متعة الحياة بالروح القدس؟ **فالفرح** قد يفيض في حياتنا من خلال التغيرات الجنسية التي نشعر بها حين يتم تبادل السعادة بين شريكي الحياة في عملية العطاء والأخذ، ففي تلك العلاقة يشعر المرء أنه محبوب ومقبول ومرغوب فيه. يجب على الرعاة والمعلمين أن يتكلموا عن هذه المتعة الناتجة من هذه العلاقة ومن هذا الحب المشترك، لأن كثرة التكلم عن مزايا تلك المتع يقلل من احتمالية وأرجحية الطلاق والزنى.

يتبادل المؤمنون السلام في الأفخارستيا (الجسد). ألا يشعر المرء أيضًا بسلام عميق بعد المعاشرة الجنسية؟ ما هي أفضل طريقة للحصول على سلام بعد خلاف زوجي؟ يقول "جاك دومينيان" إن هناك آثار حتمية تأتي بعد المجامعة مثل الشعور بالارتياح والاسترخاء والهدوء العضوي والذهني.

أليس التسامح هو أحد المكونات الحيوية للعلاقة الجنسية طويلة الأمد؟ سواء إن كنت أنا أو شريك/ة حياتي فنحن لسنا كاملين؛ فبالطبع نحن نخطئ ونكون مزعجين في بعض الأوقات، وفي أوقات أخرى نكون متضايقين، أليس التسامح إذاً شيئاً جوهرياً في قبول أخطاء الآخر والتغاضي عنها، كي نتعلم فضيلة الصبر و **طول الأناة؟**

إن جذور الإيمان المسيحي تتأصل في تسامح الله معنا؛ فكما يقول الرسول بولس: **"يَنْتَنُ اللَّهُ مَحَبَّتَهُ لَنَا إِذْ وَنَحْنُ بَعْدُ حُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِنَا."** (رومية ٨:٥)

أليس **اللطيف** هو أحد الأمور التي تظهر بقوة في الزواج؟ من خلال التلميحات الصغيرة، والمفاوضات الكبيرة التي تحدث بين الزوجين! ألا يظهر **الصالح** بطرق لا تحصي في الزواج، على الأقل في الخدمة والمساهمة التي يقدمها الزوجان لبعضهما ولأطفالهما وللكنيسة والمجتمع ككل؟ فمع مرور الوقت في الزواج وبعد فترة من العشرة، تسود معانٍ جديدة وعميقة من المحبة والصالح في العلاقة بين الزوجين.

أما بالنسبة لثمرة **الإيمان**، فإن الزوجين يقدم كل منهما للآخر الالتزام والتكريس من خلال العهد الذي قطعاه، وهما في ذلك يحاكيان صورة العهد الذي قطعه الله مع شعبه في السابق.

ضبط النفس أو **التعفف** أمر واجب، وهو ليس ضرورياً من أجل الامتناع البطولي عن ممارسة الجنس، بل هو واجب من أجل النضج

النفسي، والالتزام بشريك حياة واحد، وعدم الوقوع في شرك التجربة الجنسية بعد قطع عهود الزواج.

خلال الصفحات السابقة حاولت أن أضع مفهومًا للجنس مستخدمًا اللاهوت المتحرر، وأعتقد أنه من خلال سلسلة اللاهوتيات المسيحية المتوفرة لدينا، فإن هذا الكتاب قد ألقى الضوء على الجنس أكثر من أي وجهات نظر أو مفاهيم أخرى بديلة.

أنا بشر وقد أكون مخطئًا! ولكنني أتوق لذلك اليوم الذي يندمج فيه الإيمان القوي بالمسيح مع قبول الحياة الجنسية الممتعة لكل أبناء الله، بغض النظر عن حالتهم، أو نوعهم، أو توجهاتهم.

بعض الناس يعتقدون أن الجنس هو مجرد فعل جسدي.

لكنه في الحقيقة، هو علاقة بين شخصين.

وهذا هو ما يجعله如此 مهمًا.

لذلك، عندما نتحدث عن الجنس،

نحن نتحدث عن العلاقة بين شخصين.

وهذا هو ما يجعله如此 مهمًا.

ما سبب الصورة المشوهة لدينا عن الجنس؟

لماذا أصبحت المسيحية تنظر الجنس بشكل سلبي؟

ما سر تشجيع بعض النصوص الكتابية وتعاليم الآباء على حياة البتولة؟

هل تنظر المسيحية لجسد المرأة على أنه جسد مثير للشهوات؟

ما السر وراء إبادة بعض كنائس الغرب زواج المثليين؟

هل الشهوة خطية؟

هل هناك علاقة بين وحدانية الأقاليم الثلاثة ووحدة الرجل والمرأة في الزواج؟

هل خُطت التعاليم المسيحية من قيمة المرأة وجعلتها مجرد "شيء"؟

هل الرجل كامل لأن الله اصطفاه ليعكس صورة مجده أما المرأة ناقصة؟

لماذا نجد بعض التعاليم الكتابية تدعم فكرة التساط الذكوري؟

هذه الأسئلة وأكثر نجيب عنها في هذا الكتاب